رسائل رديئة للقمر

www.ebibliomania.com

رسائل رديئة للقمر

رسائل

مياس وليد عرفه

ببلومانيا
للنشر والتوزيع

ببلومانيا للنشر والتوزيع

نوع العمل: رسائل

اسم العمل: رسائل رديئة للقمر

اسم المؤلف: مياس وليد عرفه

تصميم الغلاف: ببلومانيا

رقم الإيداع: 2017/ 28954

الترقيم الدولي (ISBN) : 978 - 977 – 6607 -44 -9

الناشر / دار ببلومانيا للنشر والتوزيع

المدير العام / جمال سليمان

تليفون / 00201065534541 -00201208868826

صفحة الدار على موقع فيسبوك: https://www.facebook.com/bibliomania.eg/

الموقع الإلكتروني: www.ebibliomania.com

الطبعة الأولى 1439 هـ - 2018 م

جميع حقوق النشر الورقي و الإلكتروني والمرئي والمسموع

محفوظة للناشر وغير مسموح بتداول هذا الكتاب بالقص أو النسخ

أو التعديل إلا بإذن من الناشر.

الإهداء

إلى تلكَ القلوبِ التي باتَت فجأةً خاوِيةً من كلِّ شيءٍ سِوى فوضى الذكريات وخرابٌ غطَّى ملامِحَ الفرحِ

التي مرَّت بها يوماً ...

إلى الوطنِ الذي ما انفَكَّ يُغادرني وأحلامَ الرُّجوعِ إليه بِسلام ...

إلى نفسي المُنغَمِسَةِ بالتساؤلات ، وإلى مُلهِمي القمر ...

إليكم أصحاب القلوبِ النّقيَّة التي لا يشوبُها سوى الشقاء وقضبانُ انتظار الخُروجِ إلى النور ...

مياس وليد عرفه

البِداية ...

عِندما يُخطَفُ القلبُ عُنوةً ودونَ سابِقِ إنذار ..

عِندما تجِدُكَ فجأةً في أقصى درجاتِ السعادةِ لِسببٍ بِبساطتِه يكادُ يكون سخيفاً ..

عندما تهوي بِسرعةٍ إلى أعمقِ وِديانِ الوِحدةِ والظلام حيثُ يُطَوِّقُ عنُقكَ حنينٌ لاذِعٌ فتشعر وكأنَّ براكين تفورُ داخلَ صدرِك ..

تعلمُ تماماً بأنَّ حضورَ الغائبِ هو التِّرياق ، ولكن يا حبَّذا لو نعلمُ أين يقبعُ ذاكَ الغياب ؟..

عندما تغرقُ وسطَ كمٍّ هائلٍ من التَّساؤلاتِ التي لا إجابات لها ، و لِأكونَ صادِقةً تماماً ..

ثمَّة إجاباتٌ نعرِفها جيداً ولكنَّنا نتهرَّبُ منها وكأنَّها شبحٌ سيسلِبُ أرواحَنا مِنَّا فقط لأنَّنا نخافُ من مواجَهةِ الحقيقة !..

عندما تعيشُ صِراعاتٍ دائمة وتشهدُ نِقاشاتٍ دامِية بين عقلٍ صارمٍ وقلبٍ صادِق ، فتجدُ نفسكَ في الوسطِ جسداً مُمزَّقاً ضعيفاً بِملابِس

باليَة تُلطِّخها دِماءُ أوهامِكَ وأخطائك ، تحاوِلُ مِراراً الخلاص والتمسُّك بأيِّ قشَّةٍ قد تسحبُكَ لِلأعلى قليلاً حيثُ الهدوء ، فتَعقِدَ هدنةً مع

ذكرياتك التي تضرِبُ جرحَك لِتستَنزِفَ منه آلامهُ والحنين حتى تتمكَّن من إغماضِ عينَيكَ عن فوضاكَ العارِمة وإسكاتَ عقلِكَ عن

تحليلاتِه الكثيرة والمُتَشَعِّبة ..

تنجحُ فِعلاً وتنامُ وكأنَّكَ في سُباتٍ طويل ليس لِأنَّك مرتاحٌ وسعيد ، بل لأنك هارِبٌ ضعيف ..

يالَ السذاجةِ الحمقاء !!

لا تقلق ، عندما تستيقِظُ من سُباتِك ستعلمُ سببَ قَولي ذلك ..

لأنَّكَ ستخدَعُ نفسكَ وتغرَقُ أكثر بالتفكير والإسراف في الشوق ...

أنصحُكَ بأن تكتُبَ حينها فالكلِمات ستُنقِذُكَ بكلِّ حبٍّ لأنها سَتُفرِغُ ما في أعماقِكَ لِلخارج ، ستشعُرُ بعدها بأنَّكَ خفيفٌ كريشةٍ تتطاير بِهدوءٍ

في الهواء ..

وإن كانت كتاباتُكَ رديئةً لا تصلُح لِأن تكون نصوصاً بديعةَ الجمال تخطِفُ قلوبَ القارئين ، اكتب ولا تلتَفِت لِرداءتِها ..

اكتب لِأجلِك فأنت تستحق ..

بعضُ الرَّداءة في التعبير قد تُوصِلُ ألف شعورٍ لم يستطع إيصاله بيتُ شِعرٍ مُنظَّم أو قصيدة مُنمّقة أو حتى خاطِرةً مرتّبة ..

لأنكَ ستكتبُ ما يُمليهِ عليكَ قلبُك وشعورك ، ستعكِسُ ما داخِلكَ من أحاسيس على ورقةٍ ستكونُ مِرآة روحِك ..

اكتب و دع كلَّ الفوضى تخرجُ من أعماقِك ..

تمهيد ...

كلُّ ما جالَ بِخاطِري من أحاسيسَ ومشاعِر وأفكار جعلتُها رسائل أخاطِبُ بها القمر ...

لأننا بحاجةٍ دائمةٍ لِصديقٍ يسمعُنا حين تفيضُ بنا الكلمات حدَّ الاختناق ، ويُنصِتُ لِأنين جِراحِنا المكبوتِ بِصمتٍ وتقبُّل

ويحتَضِننا بِكلِّ حب ..

علَينا البحثُ عنه والتمسُّك به بأقصى قِوانا ..

وإن لم يكُن ذاك الصديقُ موجوداً في الحقيقةِ فلا بأسَ باختلاقِ صديقٍ وهمي !..

كالقمرِ مثلاً ..

الرسالة

(1)

... نِصفُ استِدارة ...

عزيزي القمر

أراكَ هذا المساءُ شحيحاً مُعتِماً

أدَرتَ ظهركَ عن عالمي بنِصفِ استِدارةٍ وهممتَ بارتِداءِ ظلامِكَ مُتأهِّباً لِلغياب !

وأتساءلُ في نفسي :

أيُّ شيءٍ ذاكَ الذي يُغريكَ في غِيابِكَ حدَّ نِسياني في بعضِ اللحظات ؟

ذاكَ الغِيابُ المُتقطِّع هو ما يستَفزُّ قلبي لِلانقباضِ المستمر وقلمي لِلكتابة

ولكن ، أيُّ كلِماتٍ سأكتُبُ لكَ وكلَّما بدأتُ بِترتيبِها على ورقتي تبعثرَت الحروفُ أمام ناظِريَّ لِدرجةِ التَّلاشي !

أيُّ كلِماتٍ تليقُ بِحضرةِ مقامِك في قلبي وسحر حكاياتِك التي تنصَبُّ نغماً وأغنِياتِ عشقٍ في أذني ؟

أيُّ كلِماتٍ ستُخبِركَ بِكلِّ ما أُخبئُ لكَ من أساريرَ مركونةً في أقصى القلب؟

باللهِ عليكَ أخبرني ما أنتَ حتى تجعلَني عاجِزةً عن الإفصاحِ عمَّا في قلبي لِلأوراق وأنا التي اعتدتُ التَّفنُّنَ في ترتيبِ الكلماتِ جُمَلاً

مُنمَّقةً تُوصِلُ كلَّ ما في القلبِ لِلقلوبِ القارئة ؟

عزيزي القمر ..

أعلمُ تماماً بأنَّ رسالتي لكَ رديئةٌ جدّاً بالنسبةِ لِما أكتبُ عادةً

لكنَّها ليسَت إلاَّ مُحاوَلةً مني لِكسرِ حاجز الدهشةِ والغرابة التي تنتابُني كُلَّما فكَّرتُ بِكتابتِك

أرجو أن تتقبَّلَ مُحاوَلَتي مُبعثَرَة الحروفِ والمشاعر ، وأن تعلمَ بأنَّ ما في القلبِ يفوقُ الوصفَ والتخيُّل

عزيزي القمر ..

ذاكَ الانقِباضُ في قلبي مؤلِمٌ ومُوجِع ، وكأنَّ الشوقَ يعتَصِرُ القلبَ بما فيه من أملٍ وخوف وارتِباك

بالمناسبة !!

هل شعرتَ يوماً بانقِباضٍ في أرجائكَ بين كلِّ النجومِ حولك " كما أشعرُ أنا " بدون أن تُثيرَ انتِباه نجومِك ؟

أتمنى أن تجيبَني برِسالةٍ سرِّيةٍ تُنير ظلمةَ ليلَتي هذه

مُلاحظة صغيرة ...

أنتَظِرُكَ بكلِّ ما في الكونِ من صبرٍ حتى تُرسِلَ لي إجابتك

ستجِدُني اليومَ مُفتَرِشةً سواد السماء من أجلك

الرسالة

(2)

... وهمِيَ الجميل ...

السّاعةُ الآن التاسِعة صباحاً ، ربما ستتعجَّبُ من نشاطي المُفاجئ وهذا شيءٌ طبيعيٌّ بالنسبةِ لِفتاةٍ كسولَةٍ تستيقِظُ مُتأخِّرةً دوماً

لكنَّ الحقيقةَ هي أني لم أنم بعد !

أتعلمُ بأنَّ الحنينَ شعورٌ قاسٍ ومؤلِمٌ لِلغاية خصوصاً إن كان لِأشياء كثيرة و مختلِفة وأشخاصٍ بعيدين جداً لكنَّهم يُغرِقون القلبَ حُبّاً

وشوقاً ، وربما ما عاد لهؤلاء الأشخاصِ أيُّ وجودٍ على هذه الكرةِ الأرضيَّة بل إنهم يلتَحِفون تُرابَها داخل القبور

أحِنُّ لِكلِّ شيءٍ كنتُه وكنتُ أعيشُه فيما مضى .. أحِنُّ لِنفسي التي لم تكن تأبَهُ لِشيء

لِأحلامي التي كانت على وشكِ أن تُزهِر قبل أن تقطع سكين الحربِ كلَّ شيءٍ بوحشيَّةٍ مُفرَطة !

وأحِنُّ لِأمنياتي التي كانت مُكدَّسةً تنتظرُ دورها لِتتحقَّق وكلَّما انقضى يومٌ زادَت واحدة ، لِلأسف منذ أن اندلَعت نارُ الحرب بقيَت في الوطن

وحيدة دون أن تزيد أمنِيةً واحدة ، هي تنتظرُني فقط !

أتصدِّقُ يا قمري بأنَّ أحداً يحِنُّ لِلحظاتِ فشلِه ؟

أنا أحنُّ لها كثيراً وأحِنُّ أيضاً لِسقوطي المُتتابِع كلَّما حاولتُ الوقوفَ باتِّزانٍ وسط جُموعِ البشرِ الفُضولِيِّين أصحاب النظرات الغريبة

صحيحٌ أني كنتُ أشعرُ لحظتها بالخجل يخترِقني حتى أخمصي والتوتر لا ينفكُّ يتداعَبُ بأعصابي المُرتجِفة لكني كنتُ أحاولُ الوصول بكلِّ

السُّبُلِ الممكنة ، كنتُ أشعرُ بأني على قيدِ الحياة !

الألم رغم فظاعته وهيمنتِه المُفرِطة على قِوانا إلا أنَّ دوره في إثبات حقيقة أننا على قيد الحياة يستحِقُّ الوقوف والتَّأمل بعمق

أن تشعُرَ بالألم يعني أن تبحث عن طريقةٍ لِلخلاص منه ، يعني المحاولة والتجريب والتعب .. وما الحياة إلا محاولات وتجارُب لِلوصولِ لِلقممِ العالية

أحنُّ لِأفعالي الشقيَّة ولابتِسامتي الصباحية التي تشي باعتذار موجَّهٍ لِوجه أستاذي الغاضب بسبب تأخري الدائم ، والتي تصلُ إليه كما خططتُ لها

أن تصِل ، فيُسامحني ويُبادلني إياها بابتسامة وجملة " كُنا بانتظارك "

أحِنُّ لِذاتي قبلَ الحربِ وحليفتها الغربة وقبلك !

عزيزي القمر ..

كثيراً ما حاولتُ التَّهرُّبَ من ذاكَ الحنين لِلماضي الذي صار بعيداً ولن يعود أصلاً وعندما أنجح بذلك أجِدُني غارِقةً بالحنين إليك !

أعلمُ أنَّ المسافةَ بيننا طويلةٌ جدّاً لِكَونكَ مُجرَّد وهمٍ اختَلَقتُه لِنفسي ، ثمَّة سؤال انبثقَ من بين الأفكار المُتراصَّة في رأسي

وعرَّف عن نفسه بجِدَّةٍ مُفتَعلة: أيُمكنُ أن يتحوَّل الوهمُ لِحقيقة ؟

في الأساطير وحكايات الأطفال يحدثُ ذلك

بمناسبة حكايات الأطفال ثمة شيء سأخبرك عنه وهو أنِّي إلى الآن أحبُّ الاستماع لحكاياتهم البريئة

هل ستحكي لي واحدة عندما نلتقي وأطلُبُ منك ذلك ؟

أرجو أن تكون صبوراً وعطوفاً حينها

ملاحظة صغيرة ..

الأحاديث والكلمات العالِقة في أعماقِ القلب مهما كانت بسيطة وتافِهة ، قد تقتله اختِناقاً جرَّاء التراكُمات

علينا تفريغها دوماً لو لم نجد أُذُناً تُصغي ثمَّة ورقٌ يحتَضِنُ آلامنا بكلِّ حب!

الرسالة

(3)

... ماذا لو عقدنا اتفاقاً ؟...

ربما تمادَيتُ بِحلُمي معك وحبي لك

ها أنا ألتحِفُ الصَّمتَ منذ أيَّامٍ غارِقةً بالتفكير والشرود في محاولةٍ لِفهمِ أفعالك الغريبة

مرَّت بِبالي الكثير من الأفكار التي آلَمَتني حدَّ فِقدانِ توازُني ، تمكَّن مني الغضبُ أخيراً !

وتوتُّرٌ مُستمر قضى على أعصابي التي طالما كانت هادئة

الخوفُ من فقدانك يُهيمِنُ عليَّ بشدةٍ لِدرجةٍ جعلَتني أشعرُ أني فقدتُكَ فِعلاً

الخوفُ من الفقدِ يا قمري أمرٌ فظيعٌ جدّاً ، تخيَّل بأنَّكَ ستفقِدُ قُدرتكَ على التنفُّس وهي الطريقة الوحيدة التي تربِطُكَ بهذه الحياة

أخبرني كيف سيكون حالكَ حينها ؟

أتعلمُ ما هي المشكلةُ التي تقفُ دائماً عائقاً بيننا ؟

انغِلاقُكَ التَّام على نفسك !

تظنُّ بأنَّ ذلك سيُبقيكَ قوياً أمام هذه الحياة التي لم ترحم أحداً من قبل ، ولكن اسمح لي وإن كنتُ بِقولي هذا فظَّةً معك :

انغِلاقُكَ لن يمنحك سوى المزيد من الظلام والسواد مع مِساحاتٍ أوسع لِلوحدة !

النافِذة التي حاولتُ جاهِدةً فتحَها من أجلك أغلقتَها بنفسِكَ وتركتَني خارجها وحيدة بدونك

مُحاولاتي الكثيرة لِلتخفيف عنك ومشاركتكَ الألم رمَيتَها ، وأمنِياتي المُتراكِمةِ بعضها فوق بعض و المُتمَحورِةِ حول البقاءِ بجانبك بدَّدتها

أتظنُّ أنَّ فتاةً تمتاز بالعِناد مثلي قد تستسلم بِسهولةٍ وتتركَ تغرقُ بإرادتكَ لِما تُسوِّلُه لك نفسُكَ من أوهام ؟

أنا أستبعِدُ ذاك الظنَّ تماماً لِذاسأبقى أمطِركَ برسائلي التي سأبوح لك فيها عن كلِّ ما يجولُ بِبالي من أفكار

عزيزي القمر ..

أيُغريكَ الغِيابُ لِدرجةٍ تجعلُك تعتَنِقه وتغرقُ فيه ؟

أم أنَّ ما يُغريكَ فيه بالحقيقةِ عدم وجودي داخل حدوده ؟

لا تتعجَّب من سؤالي أرجوك ، فأفعالكَ جعلتني أفقد ثقتي بما كنتُ أؤمنُ به حقَّ إيمانٍ تِجاهك !

قلبيَ المُرتَعِش وروحي الوجِلة وأفكارٌ كثيرة ضبابية أراها تنظر إليَّ بعيونٍ حاقِدة

" سيذهبُ بعيداً " قالت ذلك بكلِّ ما تملكُ من قسوةٍ !

وأكَّدت لي رسائلي المُهمَلة بِأنَّ ابتعادكَ التدريجي قد بدأ ، وإلاَّ لَمَا أهملتَها !

عزيزي القمر ..

لا أعلمُ لِمَ تتَّسِمُ رسائلي لك بالرداءة ، لكنَّ التعبَ أرهقني حدَّ عدم قُدرتي على تنميقِ الكلمات

أشعرُ كما لو أنني في دوَّامةٍ من الأفكار أُحاول الهرب منها بِشقِّ الطرق ، لكنك تجلِسُ في مُنتصفِها بكلِّ هدوءٍ وثقةٍ مانِعاً نجاتي !

وكأنَّك مغناطيسٌ تسحبُني لِدوامتكَ كلَّما حاولتُ الخروج منها

عزيزي القمر ..

ماذا لو عقدنا اتفاقاً صغيراً ؟

افتح لي قلبك وأعدكَ بأني سأغرقُ فيه مهما كانت النتائج !

ملاحظة صغيرة ..

أرأيتَ شِهاباً سقط من السماءِ الليلة الماضية ؟

قالوا لي بأنَّ الأمنيات تتحقَّق إذا ما أخبرنا بها ذاتنا لحظة سقوطه

فتمنَّيتُك !!

الرسالة

(4)

... سمائي بائسٌ ظلامُها بغيابك ! ...

تلكَ الفوضى المُسيطِرَة على أرجائي تكادُ تقضي عليَّ

مشاعرُ مُبعثرة وتصرُّفات لا صحَّة لها ولا عقلَ يتمكَّن حتى من استِيعابِها ، أُفاجَأ أحياناً مني !

خوفٌ دائمٌ من مجهولٍ يتربَّصُ بي ، يُراقِبُني بِصمتٍ ويحومُ حولي على هيئةِ نِقاشاتٍ وقراراتٍ مُتغيِّرة وقلِقة من مثل :

سنرحل !

لا .. لن نرحل !

سنعود لِلوطن !

لا يمكننا أن نعود !

يزورُني في خلواتي على شكلِ خيالٍ غامِض ، مُبهَمٍ ومُرعِب !

مرةً تخيَّلتُني عجوزاً ما زِلتُ مكاني لم أبرحهُ أبداً لأنه و بِبساطةٍ لم يُسمح لي بذلك

الشيء الذي يُخيفُني بالأمر هو أني كنتُ وحيدةً ضعيفةً وهزيلةٌ أمامي أوراقي المُتناثِرَةٌ هنا وهناك والقليل من الكتب

كان كلُّ ذلك يُمثِّل خطَّ سَيري في حياتي وحصيلَةَ عمري الذي عِشت

لكنَّ الحقيقةَ هي أنَّ أحلامي تفوقُ ذلك بكثير !!

ومرَّةً أخرى تخيَّلتُني وقد عُدتُ لِلوطن ولكن بجسدٍ ضعيفٍ لا يقوى على الحركة

وكأنني انتقلتُ من سجنٍ غريب لِسجنٍ آخر في الوطن أقبعُ فيه كقطَّةٍ هارِبةٍ من بردِ الشتاء تنظرُ لِلخارج من نافِذةِ بؤسِها بعينَين مُتحسِّرتَين

ما أكثر الخيالات المُتضادّة التي تذهبُ بي حيثُ شاءت وتأتي بي مُرهقةً كيفما شاءت

أتعلمُ بأنَّ مرورَكَ بخيالي أقسى عليَّ من كلِّ ذلك ؟

عزيزي القمر ..

زهرتُكَ الزرقاءُ لم تذبُل بعد ، صِرتُ أتمنى ذبولها كي لا تُذَكِّرني بك كلَّما لمَحَتها عينَاي

أعلمُ أنها ليسَت سوى زهرةٍ صغيرة لا شأن لها حتى أتمنى خلاصها وأقسو عليها بِكلماتي لكنها تستَفِزُّني كلَّما حدَّثتُها عنك بِغضبٍ زادَت تألُّقاً وحياةً !

وكأنها تطلُبُ مني الانتظار قليلاً ، وكأنها خائفةٌ عليَّ من الندم

أعتقدُ بأنها تحاوِلُ أن تَهديني لِطريقِ الصَّواب

عزيزي القمر ..

سمائي بائسٌ ظلامُها بِغيابك ، هلاَّ عُدتَ من فضلك !!

ملاحظة صغيرة ..

أرجو أن لا تضجرَ من رسائلي ، تفهَّم ما بين سطورِها وتعمَّق بها ستُحبها وتعتادُ عليها ، أعدُك

الرسالة

(5)

... كُلٌّ بِعيونِ الآخر ...

ثمَّة لحظاتٍ نعيشُها ونتمنى لو أنَّ باستِطاعةِ الزمن أن يتوقَّف عندها فلا تنتَهي البتَّة ، كهدِيَّةٍ مُفاجئةٍ تقتحِم حياتنا بغتةً غامِرَةً قلوبنا المُتعبةَ بالفرح ، ناشِرةً رذاذ الأمل في أرجاءِ عالمِنا الصغير حيثُ اخترنا لها مكانها المناسب ، كَكلمةٍ نقيَّةٍ تخرُج من قلبٍ صادقٍ في حبِّه لنا فتملأ قلوبنا بزهورِ أقحوانٍ وعبيرِ رَيحان، كبسمةٍ رقيقةٍ تلفِتُ انتِباهنا ناشِرةً الدفء في أرجائنا والسعادة في أرواحنا

وثمَّة لحظاتٌ أخرى نعيشُ على أملِ حدوثِها وعَيشِها خارج أسوار الخيال ، في الحقيقة وعلى أرضِ الواقع !

تماماً كأمنِيتي بالعودةِ إلى الوطنِ والخلاصِ من حربٍ ساذجةٍ أقحمَت نفسَها في عالمنا عُنوةً لتُفرِّقنا وتجعلُ الشتاتَ حتفنا ونهايتنا ، فتضَعُ البعض

داخلَ القبورِ والبعضُ الآخر تائهينَ ومنسِيِّين في أصقاعِ الأرضِ يُعانون الغربة والفقد، وحيدين لا يرومونَ لِشيءٍ سِوى أن يحيوا بِسلام !

تماماً كأمنِيَتي بالتظَلُّلِ تحت ياسمينةٍ متربِّعةً عرشَ حارتي تمُدُّ جذورها في العُمقِ طويلاً بِهدوءٍ وطمأنينة رِفقَةَ صديقتي والأحاديثُ

المُنبثِقةُ بيننا لا تنتهي أبداً

تماماً كأمنِيتي بلقاءٍ يجمعُني بكَ وحديثٍ صامتٍ بيننا يقولُ كلَّ شيء ، الصمتُ يا قمري قادرٌ على الإفصاح بما يعتري القلوب بين المُتحابين من أحاديث

وحدهُ الصمتُ يفيضُ بالكثير من المعاني التي تتبعثرُ بين الكلمات فلا تصِلُ كاملةً كافيةً كما يجب لِلطرف الآخر

عندما يُصادِفنا اللقاء ستفيضُ قلوبنا بأشواقِها احتِفاءً باللحظة الثمينة ، أما عن أعيُنِنا التي ستكون غارقةً في الأعماقِ كلٌّ بِعيونِ الآخر

أعلم أني أُبالِغ في أحلامي ولكنَّ الأحلام هي الميناء الآمن الذي نهرعُ إليه لِنحتمي من واقعٍ غاضِبٍ يُهدينا الألمَ مُغلَّفاً كهديَّةٍ عليها رِسالة :

((عليكَ قبولها وتقبيلَها بكلِّ حب .. المرسل : القدر))

عزيزي القمر ..

منذُ زمنٍ بعيدٍ وأنا أعتنِقُ الأمل بحبٍّ وإلى الآن لم و لن أتخلى عنه ما دامَ الله في قلبي فأنا أستمدُّ من إيماني به كلَّ قوَّتي

وفي ضعفي أوقِنُ تمامَ اليقين أنه معي و سيدلُّني لِطريقِ الخلاص

كلَّما انتابَني اليأسُ والألم أبدأ لا شعورِيّاً بِترديد : " لأنَّ الله معي سينتهي كلُّ شيءٍ سيء "، أهدأُ بعدها وأغُطُّ في النومِ لِأعيش حلُماً جميلاً يُراوِدني دوماً وكأنما هو حقيقة

عزيزي القمر ..

ينتابُني الشعور بأنَّكَ حزين وتشعرُ بالضيق لذلك أخبرتُك عن سرِّي عندما أشعرُ بالضعف ، فقط ردِّد " الله معي " وأنت على يقينٍ بها وستشعُر بالفرق

ملاحظة صغيرة ..

ذلك الحُلُم الجميل الذي يُراوِدني دوماً زادَ جمالاً بكائنٍ جميلٍ ولطيف ، هو أنت !

الرسالة

(6)

... مَولودُ مُخَيِّلَتي ...

لِأننا نعيشُ على الآمال والأمنِيات ، ولأنَّ الانتظار صارَ جزءاً لا يتجزَّأُ من حياتنا وقد امتَهَنَّاهُ بِصورةٍ مُذهِلة

فنحنُ إن لم نكن ننتظِرُ شيئاً كبيراً أو حلُماً بالِغَ الأهمية نلتفِتُ لانتِظار الصَّغائر التي نُعطيها قيماً أكبرَ منها !

أحياناً يكونُ انتظارنا مُجرَّدَ حماقةٍ لا أكثر ، وأحيانا بِهدفِ ملئ فراغٍ شاسِعٍ يُحيطُ بنا من كلِّ جانب

رُبَّما تمكَّنَّا أخيراً من تناسِيهِ وتجاهُلِه

أحياناً يكونُ انتِظارنا حقيقيَّاً بحيثُ نعلمُ جيِّداً ماذا ومن ننتظر

الأهم بأنَّنا على أتمِّ الثِّقةِ بأننا لن نُخذَل !

وأحياناً يكونُ انتِظاراً لِشيءٍ ربما هو مُستحيلُ الحُدوث والظهور ..
مستحيلٌ من أن يكون !

تماماً كما انتظرتُ في الماضي البعيدِ وهماً ولِسنواتٍ طِوالٍ لم أتخلَّ عن فكرة ظهورِهِ يوماً ، حتى بعد أن فقدتُ الأمل

وتلاشى هو في اللاَّشيء ، بقيتُ أنتظِر !

تماماً كما وضعتُكَ لي يا قمري وظننتُكَ حقيقةً وها أنا أمتَهِنُ انتِظاري لِظهورِكَ بكلِّ صبرٍ مُفتَعَل ، حتى لو كُنتَ وهماً من سرابٍ

أُحدِّثُكَ عبرَ خيالي وأكتبُ لكَ رسائلي

أعاتِبُكَ على غيابكَ الغيرِ حقيقي وأغضبُ من لا مُبالاتكَ وإهمالِكَ المُتكرِّر الذي جعلتُكَ تقومُ به " بِخيالي " بِهدفِ استِثارةِ الوقتِ

الطويل الواقِف على حافةِ غربتي لا يتحرَّكُ قيدَ أُنمُلةٍ

ليسَ لشيءٍ سِوى لِأُطفئ غضبي الثَّائر في صدري من كلِّ ما يحيطُ بي من جمودٍ و ضياع وربَّما من خِذلانٍ وخِداع

أن تفقدَ ثقتكَ بِكلِّ من حولك يعني أن تفتعِل الجنون وتخترِع شخصياتٍ من تِلقاءِ خيالِك حتى تُمارِسَ معها غضباً هائجاً كان أسيرَ الصمت

أو أن تعيشَ بِرِفقتِها فصولَ حبٍّ لم يأتِ بعد ، ربَّما تأخر أو أخطأ الطريق ، وربما لن يأتي أبداً !

فتشتاقُه دوماً وتُحِبُّه فِعلاً ، تكتُبُ له وتغني من أجلِه بِصمتٍ أغنيةَ حبٍّ لن يكون

عزيزي القمر ...

بتُّ حقّاً بعيدةً كلَّ البُعدِ عن الوثوقِ بِأحد ، لا أقصِدكَ بكلامي فلو كنتَ حقيقيّاً لكنتَ مثلَهم أيضاً

لكنَّكَ مولودُ مُخيِّلتي ووهمي الجميل

أظنُّني برسالتي هذه أودَيتُ بكَ لحالةٍ من الفوضى

لِأكون صادِقةً معكَ أكثر سأخبركَ حقيقةَ الأمر ، داخلي مليء بالفوضى ومشاعِر مُتضارِبة وحالة من التفكير الهستيريّ

بكلِّ شيء و باللاَّ شيء معاً

وجوهٌ كثيرةٌ تجتاحُني بِكلِّ ما تملِكُه من قوَّةٍ لِتُبعثِرني ولِتُذكِّرني بسذاجتي وحماقتي حينَ ظننتُ بأنهم يملِكون قلوباً ملائكيَّة التكوين

وملامِحَ تقطُرُ حباً وصدقاً !

لكنَّها الأقنِعةُ من جديدٍ عادَت لِتُباغِتني وتوقِعني في حُفرةٍ عميقةٍ من الذهولِ والصَّدمة

بارِعةٌ تلكَ الأقنعة ، تُراها أيُّ الأيادي التي أتقنت صُنعها حتى ما عادَت تُكتَشَفُ إلاَّ من بعدِ الخيبات والصَّدمات ؟

أرهقتني وأتعبَتني وأنا التي في كلِّ مرةٍ أقعُ بِذاتِ المصيَدة ، متى تُراني سأَعي بأنَّ الأقنِعةَ باتت موضَةَ العصر الجديد ؟

عزيزي القمر ...

لِوهلةٍ ظننتُكَ ترتدي قناعاً مِثلَهُم ولكنِّي أفَقتُ لِفكرةِ أنَّ الأشخاصَ الوهميين لا أقنِعة لهم !

سامحني أرجوك فبعثرتي من قادتني لِذلك

ملاحظة صغيرة ..

على طاولةٍ مُستديرةٍ عليها فِنجانَي قهوة ، و نحن جالِسَينِ معاً وتتلاقى عيناىَ الحقيقيَّتان و عينَيكَ البنِّيَّتين اللتين اخترتهما لكَ نتجاذبُ أطراف

الحديث ، أظنُّ بأنني سأُحدِّثُك عن شعورٍ يُغيظني هذه اللحظة بالذات من البعثرةِ والارتِباكِ بحضورك

كِدتُ أُوقِعُ فنجاني انبِهاراً بسحرِكَ اللاَّمرئي !

فكرة مجنونةٌ بامتِياز لكني أحببتُ وجودك فيها ...

الرسالة

(7)

... لهفةٌ بلا موعِد ...

سعادَةٌ مُفرِطةٌ أصابَتني هذا اليوم ، وضحِكٌ هستيريٌّ اجتاحَني لم أستطِع لِإيقافه سبيلاً

شعورٌ غريب ولذيذ انتابَني وتوقُّعٌ لِلخلاصِ من بينِ كفَّي الغربةِ اللعينة يتراقَصُ حولي

لرُبما كان إحساساً عابِراً ليس إلاَّ ولكنَّ قلبي ينبِضُ له وبِشدة !

وكلُّ ما فيَّ انقضَّ عليه شعورٌ بالحماسِ واللهفة الآتيةِ بلا موعِد ..

بِتُّ كلَّ ما أغمضتُ عينَي لا أرى سِوى شوارِعِ حيِّنا الذي عِشتُ فيه وتعلَّمتُ على أرضِه المشيَ بِثباتٍ وثقة

فأبقَيتُها مُغمَضةً لِفترَةٍ أطولَ في مُحاولَةٍ مُستميتَةٍ لعيشِ شعورٍ مُغايرٍ لِما اعتدتُ عيشَهُ لِسنواتٍ عِجافٍ

أشعُرُ بِنسماتِ الشتاء القادِمة تُلامِسُ خدَّايَ الهزيلَينِ وتهمس :

" ما ذا فعلَت بكِ الغربة يا فتاة !.. ويحَها كم كانت قاسية "

استَمِعُ لِأصواتٍ أطفالٍ كبِروا وما عاد اللعِبُ يستهوييهِم يقولون لي :

" لقد تغيَّرتِ وشَحِبَت ملامِحك ولكن لا تقلقي ستعودين قويَّة أكثر من ذي قبل ، فأنتِ كذلكَ بِقلبك "

أبتَسِمُ لهم بامتِنانٍ وأُكمِلُ طريقي لِأمُرُّ على المكتبةِ التي اعتدتُ شراء حاجاتي منها فأسلِّمَ على صاحبها كما جرَت عادتي فيما مضى

وأشتري لي أقلاماً جديدة فأنا أشعُرُ بِرغبَةٍ لِأن أصنع من عَودَتي رِوايةً أنثُرُ فيها ما بِخاطِري – من كلِماتٍ أضعفَت عزيمتها قبضةُ الغِياب فجعلَتها عالِقةً في منتصفِ القلب .. منتصفِ الاختِناق

لِلوطنِ نسيمٌ يتعامَلُ مع الاختناقِ بِحِفيَّةٍ تامَّة فيتفاوضُ معه بكلِّ رِفقٍ حتى يُقنِعَه بالتحرُّر

يقولُ لي العم صاحبُ المكتبة : " لقد أحسنتِ قهرَ الغيابِ والغربةِ بكتاب ، سعيدٌ لِأجلك "

يُعطيني الأقلامَ وهو يتلهَّفُ لِأن يعرِفَ ماذا ستكتُبُ مُجَدَّداً

وأنا عائدةٌ إلى بيتٍ لم يعد لي فيهِ سِوى الذكرى أقابِل تلك العجوزِ التي أحببتُ دعواتِها لي فيما مضى وشوقٌ كبيرٌ يتملَّكُني

لِأن أسمع منها الكثير من الدعواتِ الطيبة ، تبتسمُ لي وتلمَعُ عينَيها بِشوقٍ وتقول لي :

" سعيدةٌ بكِ بحجمِ السماء لِعدمِ نسيانكِ امرأةً عجوزاً كانت تُغرِقُكِ بالدعوات ، وفَّقكِ الله يا ابنتي "

ثُمَّ تبدأ بسردِ الدعوات وسكبِها على قلبي بلسماً تغسلُ به صدى ألمِه وغربتِه واختِناقه

أبتسِمُ أنا وأتمنى أن لا تنتهي أبداً ، تُناديها حفيدتُها التي كبُرَت على حين غربةٍ فلم أعرفها

تودِّعني وتذهب إليها ..

أصِلُ إلى بابِ بيتِنا وقبلَ ذلك أسلِّم على العم صاحب الدكان الذي كان ينتظِرُ عودَتي من كلِّ امتِحانٍ لِيسألني :

" كيف كان اليوم ؟ "

أعترِفُ بأنَّ أياماً لم أكن قد فعلتُ جيداً بِامتحاني فآتي من الجهة التي أتمكَّنُ بها من الولوجِ لبابِ عِمارةِ منزلي دون أن يلحظني

هذه المرة أظنه سيسأل : " كيف كانت غربتك ؟"

سأخبره بأنها قاسِية وطويلة لكنَّ الكِتابة جعلَتني أصبِر ..

وقبلَ أن أدخلَ لِمنزلي سأقِفُ أمامَ دكانِ بائعِ الزيتِ المُغلَقة الأبواب ، هو نفسه الرجلُ العجوز الذي كان يؤذِّنُ في الماضي

والذي كنتُ أأمَنُ لِصوتِه وأحبُّه

هو بالذات لن يقولَ لي شيئاً بل أنا من سيقولُ باكِياً :

" لماذا ذهبتَ بعيداً بدون أن أتمكن من تحقيق حلمٍ صَبَّرتُ نفسي وأخبَرتُني بأنني سأعود لِأجلِه ؟

كنتُ أتمنى سماعَ صوتِكَ وأنت تؤذِّنُ ولو لِمرَّةٍ واحدة ؟ لماذا لم تنتظِر عودتي حتى أخبِركَ بأني كنتُ أحبُّ رؤيتكَ دوماً

ولكم تمنَّتُ لو أنني كنتُ حفيدةً لكَ مع حفيداتك اللاتي كنَّ يجلِسنَ معكَ نهاراً فتُداعِبهن ؟

أعتقِدُ بأنَّ مصحفكَ اشتاقَ ليدَيكَ اللتين ما كانتا تنفكُّان عن تركه حتى تعودان لاحتضانه مُجدَّداً بِلهفةٍ وحب ، بل أكادُ أجزِمُ ذلك ! "

أبكي بِصمتٍ وأدعو لهُ بالرحمة وأصعدُ لِمنزِلي مُمتلئةً بصخبٍ كنتُ أشتاقُه وبِحزنٍ عميقٍ كنتُ أتمنى مُفارقته والانسِلالَ من بين أنيابِه نهائياً

أخرُجُ مُباشرَةً لِشُرفتي حيثُ التقطتُ آخرَ صورةٍ قبلَ الرَّحيل وأرغبُ بأن ألتقِطَ مثلها مُجدداً ، فأفعل وأتنفَّسُ بِعُمقٍ ، لأملأ رئتينِ مُرهقتَينِ من هواءٍ مسمومٍ ، أفتحُ عينَيَّ لِأجِدني أمامَ مكتبي وأمامي زهراتي الزرقاوات يتخلَّلُ رئتيَّ هواءٌ جافٌّ وكأنَّ ذراتِه خاليةً تماماً من الأوكسيجين

أبتسِمُ بِعمقٍ وأكادُ أسمعُ قهقهَتي المكتومة

" لقد كان مُجرَّدَ حلمٍ جميلٍ ليسَ إلاَّ ، أتُراهُ يتحقَّق قريباً ؟"

عزيزي القمر ...

شعرتُ برغبَةٍ شديدةٍ لِإخبارِك عن حلُمي لأنني سعيدةٌ به جداً ، وحتى تعلَمُ بأني لا أكتبُ كلماتٍ كئيبةً وحزينةً فقط

بل أستطيع أن أكتُبَ أملاً رائعاً وأنسِج أحلاماً سعيدة

فالكِتابةُ عالمُ واسِعُ الخيالِ والمشاعِر والأفكار ، فيه تتجرَّدُ من كلِّ قيدٍ وتمضي بِكاملِ شغفِكَ تارِكاً روحكَ ترسِمُ لوحةَ حروفِها كيفما شاءت

ولكني عندما أبدأُ بالكتابة لكَ أتجرَّدُ من التفكيرِ بما سأكتب وأفتحُ الباب لِقلبي و مشاعِري وأفكاري لِلقِيامَ بذلك

أعلمُ أنَّكَ ستضحكُ أثناءَ قِراءتِكَ لهذه الرسالة لِأنَّكَ وأخيراً قرأتَ رسالةً مُبهِجة ، وستتمنى من كلِّ قلبِكَ أن يتحقَّق الحُلُم وأعودُ من جديد

" لِلوطنِ الحبيب الذي ما بعدَ حبِّه حب ، وما بعدَ فقدِهِ فقد "

ملاحظة صغيرة ...

أظنُّ أنِّي لمحتُك في حلمي عندما ألقَيتُ نظرةً على السماء التي كانت مستَعِدةً لِوداع شمسِها ...

كم كنتَ وسيماً !!

الرسالة

(8)

... تفاوُض ...

يذهبُ بِنا الانتظار الذي لا أملَ منه ولا سبب حدَّ خلقِ الكثيرِ من الظُّنون السَّيِّئةِ والأفكارِ الخبيثةِ اللاَّ مرجُوَّةِ أبداً

نتوهُ ونحنُ نحمِلُ قلوباً تعشَقُ الاهتمام وتحِبُّ أن تعيشَ الحياة بِرِفقةِ من يمسَحُ عنها القليلَ من غبارِ التَّعب

نُصَدِّقُ أوَّل كلِمةٍ رقيقَةٍ جميلة ونثِقُ تماماً بِقائلِها فنُعَلِّقُ آمالنا وأحلامنا عليه فقط لأنه استمَعَ إلى تُرَّهاتِنا ذات صدفَةٍ عابِرة

آمالنا وأحلامنا ذاتها التي فقدناها ذات حرب

أتُرانا بذلكَ مُذنِبين ؟

أجِبني أيُّها القمر ، أيَستَحِقُّ كلُّ هذا قلبٌ أحبَّ الحياة ؟

ها أنتَ تفعلُ الشيء ذاته ، غيابٌ مُفاجئ وصمتٌ قاتل وإلى متى ؟

تنتابُني رغبةٌ جُنونِيَّة دوماً بأن أتحوَّل لِذرَّةِ أوكسيجينٍ تدخلُ أنفاسَكَ عازِمةً الوصولَ لِقلبِك ، فترتاحُ قليلاً

وتبدأ البحثَ عني داخِله ، فإذا ما وجدَتني واطمأنَّت بأني أتربَّعُ مكاني بِهدوء تُغادِرُ القلبَ سعيدةً

فتتَّجِه بعدها لِرِحلةِ تِجوالٍ بين تلافيفِ عقلِكَ القاسي ذاك !

كي تتمكَّن من معرِفةِ ماهيَّةِ تلكَ الأفكارِ اللعينَةِ التي تدورُ فيه مُسبِّبةً ابتِعادكَ عني وافتِعالكَ الغِياب !

ربَّما استطعتُ التفاوُضَ معها بِشأنِك ، لا تقلق سأُخبِرُكَ بِمُخطَّطي الذي سيكونُ كالتالي :

سأتَّفِقُ معها لِأن تنتقِلَ إلى عقلي ، سأُوفِّرُ لها مكاناً مُريحاً وسترتاحُ أنتَ من ضجيجِها الذي سأحمِلُه عنك

لا بأس بذلك ما دُمتَ ستبقى بِجانبي دوماً

ما رأيُك ؟ أليسَت خطَّةً ذكيَّة ؟

أعلمُ أنَّها طفوليَّة وخيالية ومُستحيلة أيضاً ، أخبَرتُك مرَّةً بأنَّ بعض الخيال يُخفِّفُ من حِدَّةِ ألمِ الفِراقِ والغِياب

وأعتقِدُ بِأنك أفرطتَ في غِيابِكَ بما فيه الكِفاية ، وبالمُقابِل أفرَطتَ في تعذيبي، ألا ترى أنَّ ثمَّة مظلومٌ في هذه المعادلة والذي هو " أنا " ؟

عزيزي القمر ...

أخشى أنِّي أُزعِجُكَ برسائلي الرديئةِ عديمةِ الفائدة

على الأقل ستعرِفُ من خلالِها أنَّ أحداً على هذا الكوكب يهتمُّ بكَ وينتظرُ بُزوغَكَ في سمائه !

ملاحظة صغيرة ..

قبلَ شروقِ شمسِ اليوم كان الهلالُ رائعاً ومع استمرار الشروق كان يزدادُ تألُّقاً وغياباً

أصحيحٌ أنَّ الغيابَ يزيدُ نسبةَ التَّألُّق ؟

سأُفكر بِتجريبِ ذلك يوماً

الرسالة

(9)

... لِأنني أخافُ فقدَك ...

تُغرينا الحياة بما لديها من فِتنٍ وألوانٍ جميلة ، تجعلُنا ننساقُ نحوها بِكلِّ ما نملِك من قوةٍ وصرامة

البعضُ منا ينسى ما كانَه قبل أن ينجرِف مع رغباتِه في الحياة لما يراهُ حلُماً ذهبيّاً

قد ينسى أصدقاءً أوفياء أحبُّوه بصدقٍ وما زالوا ، وقد ينسى قلباً تعاهدَ معه يوماً على البقاء

والبعضُ الآخر ينسى أحلامه التي كان يتمسَّكُ بها بكامِلِ قِواه ، فجأة يجدُ نفسه يُفلِتُها ويتخلى عنها دون أي قرار مُسبقٍ

بذلك أو حتى رغبة

أما عن آخرين فتجِدُهم ينساقون من غير حولٍ ولا قوَّة بِلا مقاومة ، ليس لأنهم ضُعفاء أبدا

بل لأنَّ القدر الذي ساقتهُ إليه حياتهم كان أقوى بكثير من رفضِهم ، فيستسلِمون ويخضعون وينتظرون

لو أنك تعلم أيها القمر كم أن الانتظار مُرهِقٌ ومُتعِب ، إنه يمتصُّ طاقتنا وأملنا وسعادتنا بِقسوةٍ ليرمينا في النهاية على حافة الانهيار

مُلتحفين ما يُسمى اليأس ، إنه يهزأُ منّا بِشماتةٍ خبيثة

لو أنكَ تعلمُ فقط لما كنتَ حشرتَني في انتظار جديدٍ غير الانتظارات التي أغرقُ فيها

ربما إلى الآن أنت مُتعجِّب من سبب سردي لكلِّ تلك الأنماطِ المُختلفة عن البشر ، لا تقلق سأخبِرُك

تصفَعُ الحياةُ كلَّ أولئكَ بقسوةٍ في نهايةِ الأمر لِيستفيقوا من سُباتِهم مصدومين وموهومين من أنفسِهم

متى أصبحنا قُساةً ومن زرع في قلوبنا تلك الثغرةَ السوداء التي جعلَتنا ننساقُ بلا انتباه مع تيار الحياة ؟ " يتساءلون بدهشَةٍ "

تلك الثغرةُ السوداء التي أسميها أنا : " الخوف من المجهول ، الخوف من القادم". لا تستهِن أبدا بها يا قمري فلها تأثيرات كبيرة !

الخوف قد يدفعُك لِفعلِ الكثير كأن تتمسَّك بأملٍ لأنك تخافُ أن لا يتحقق إن تركته أو أغمضتَ عينَيكَ عنه لحظة

وكأنَّ إغماضَكَ لحظةً سيقطعُ ذاك الأمل لِلأبد

كأن يجعلك تتعلقُ بأي عابرٍ مرَّ بحياتِك وتثق بهِ جاعِلاً إيَّاه كلَّ شيء لأنك تخاف الوِحدة

كأن يجعلكَ تصرُخُ بأعلى صوتك " لا تُطفئوا النور " مُتناسِياً نظراتِ الاستهزاءِ من الآخرين لأنك تخافُ الظلام

الخوف حين يكون هو المُسيطِر يطغى على كل شيء ويعتلي عرش المشاعر والأفكار ، هذا ما أفسِّر به أفعالي الغريبة وغضبي المفاجئ بسببك ، لأني أخاف فقدَك

عزيزي القمر ...

آمل أن لا تعتقد بأني أصبحتُ فيلسوفة أو شيئا من هذا القبيل

كلُّ ما في الأمر أني كنتُ أحاول شرح تصرفاتي ، وأظنني قد انغمستُ في الكتابة لحدٍّ كبير

أعتذر إن شعرتَ بالملل أثناء قراءتك لهذه الرسالة واسمح لي القول بأنك تستحق القليل من الشعور بالملل لِقاء غيابكَ غير المُبرَّر والواضح

عزيزي القمر ...

لن تكون هذه الرسالة من أجلك .. بل من أجلي أنا

تساؤلاتٌ كثيرة تحتلُّ دماغي وتعبثُ بتلافيفه مُخلِّفةً سيلاً من الأفكار التي تعتصِرُ قلبي خوفاً وشوقاً ورغبةً لمعرفة ما تُخبِّئه لي الأيام

وتشتُّتٌ دائمٌ يُلازِمني ويُغرقُني في اللاشيء

ملاحظة صغيرة ..

لو كنتَ تشعُرُ بأنَّ الضِّيق يكادُ يقتلُ قلبَك اختِناقاً ، ألن تلجأ لِأقربِ قلبٍ له حتى يتنفَّس وتُخفِّفَ عنه ؟

آمُلُ أنَّك علمتَ سبب رغبتي الدائمةِ لِلبقاءِ بقربك

الرسالة

(10)

... أُرجوحةٌ مُتَقلِّبةُ المِزاج ...

كنتُ أطيرُ عالياً فآخُذُ نفساً عميقاً وكأني أُحاوِلُ سحبَ أوكسيجينٍ سُحِبَ من أرجاءِ عالمي عن رئتَيَّ عُنوةً وغصباً

بعدَ ثوانٍ أهوي بِسُرعةٍ يكادُ قلبي يسقُطُ معها وتلامِسُ قدماي المُتعبة من الركض خلف أوهامي الأرض المُغطَّاة برمالٍ ناعِمةِ الملمس

لم أكترِث لِشعوري بأن قلبي كاد أن يسقُطَ وزادت خفقاته ضِعفاً ربما من خوفٍ تملَّكه على حينِ غفلَةٍ

ببساطة كنت مُستمتِعةً وسعيدةً لِدرجةٍ جعَلَتني أضحكُ بِصوتٍ عالٍ كضحكةِ طفلٍ قُدِّمَت له اللعبةُ التي لطالما حلمَ بها

مُتناسِية قلبيَ الساقِط وخفقاته !..

أعود إلى الوراء مُحلِّقةً عبر ماضٍ كنتُ قد رسمتُ به الكثير من الأحلامِ الوردية التي لم يُكتَب لها أن تتحقق

أتنهَّدُ بألمٍ وأشعُر كما لو أنَّ سكيناً تُغرَسُ داخلي ..

ربَّما كانت سكِّين الندمِ أو الحسرة .. أو ربما سِكينُ قبولِ الواقعِ القاسي واحتِضانه والتعايش معه ؟!

على أيِّ حال قبوله واجبٌ ومُحتَّم إذ أنَّ مُعاندة القدرِ ستزيدُ الأمور سوءاً ، والبؤسَ بؤساً !

قبل أن أهوي مُجدَّداً ينقبِضُ قلبي وأشعرُ بنسيمٍ باردٍ يُلامسُ وجهي برفقٍ فأعود لِلضحك مُجدَّداً وكأنني لم أتنهَّد وجعاً قبل لحظات ..

أصبحتُ مُتقلِّبة المِزاج بشكلٍ مُفرِطٍ يا قمري ، كالأرجوحةِ تماماً عندما تطيرُ بكَ عالياً نحو الأمام فتجعلُكَ تُحلِّق فرحاً وأملاً

وبعد ثوانٍ تجدُ بأنها هوَت بكَ فجأةً لِتُعيدَك نحو ماضٍ لطالما تفنَّنَ في إحباطِك وإرغامك على أن تُعانِد ظروفكَ بكلِّ ما أوتيتَ من قوَّةٍ

لِتعود بكَ مُجدَّداً فتهوي وتُحلِّق لِلأمام وتهوي وتحلِّقُ لِلخلفِ وهكذا ...

عندما كنتُ أُمارِسُ لِعبتي المُفضَّلة " الأرجوحة " تذكَّرتُك !

ألا ترى بأنَّها تُشبِهُكَ كثيراً ؟

هذا ما تمكَّنتُ من التَّوصُّلِ إليه بعد نصفِ ساعةٍ من التأرجُح تارةً بقوَّة حيثُ أشعرُ بي أطير سعادةً وفرحاً

وخوفاً من فقدانِ لحظة الفرح تلك ، وتارة ببطءٍ شديدٍ حيثُ أشعرُ وكأنَّ أنفاسي تكادُ تتقطَّعُ ملَلاً وصبراً نافِذاً خارِجاً عن حدِّه ..

وهذا أنت ببساطة !!...

عزيزي القمر ...

أليسَ غريباً أن يُحبَّ المرءُ بقوَّةٍ بحيثُ يُغرِق محبوبه باهتمامٍ وكلِماتِ حبٍّ تُنسيه أنَّ في العالم أحدٌ غيرهما و فجأةً يعتمِرُ الغياب

فيختفي في اللاشيء لا لِشيء مفهوم ؟

أتخيلُ أحياناً لو أننا نتبادلُ الأدوار فتكون أنتَ أنا .. و أنا أنت ، ماذا ستكون النتيجة ؟

كنتُ قد ظننتُ مؤخَّراً بأننا واحدٌ لا يفترِق وبدأتُ في اللحظات الأخيرة أؤمنُ بِذاك الظن إلى أن صفعني غيابُك وهو ينهرُني بِصوتٍ غاضِب :

" ألم يخبِركِ أحدٌ أنَّ بعضَ الظنِّ إثم ! "

كانت صفعةً قوية وقاسية جعلتني أبكي بِحسرةِ بُكاءَ صبيَّة فقدت أحلامها على حافَّةِ الحماقة

بقيتُ وحيدةً إذن وافترقَ الواحِد لِيصبِحَ أنا المصدومة و أنت الغائبُ الغامض ،مناسِبٌ تماماً لك هذا الاسم

لطالما أسعفتني حروفي بشأنكَ كي أكتُبكَ بالطريقة التي أراها تُناسِبُك ، لا كما قلبي يرى ما يُناسِبك

بالمناسبة .. قلبي ذاك خائن !..

أتعلم أني كلَّما أقنعته بأنكَ لم تكُن سِوى وهمٍ أنا من أنشأه وأنا من أراد اندِثاره ، عادَ إليَّ مكسوراً مُلوثاً بذكرياتٍ جمعتنا سوياً

لم تكن إلاَّ من نسجِ الخيال !

ومُلطَّخاً بشوقٍ دامٍ أرداهُ إلى العدم ، ولن أنسى حبَّه العميقَ لك

كيفَ لِحبٍ يصنعُ من القلبِ خائناً لِصاحبهِ وفِيّاً لِمن يُحب !..

أضربُ كفي بِرأسي مُتحسِّرةً " كم مرَّةً عليَّ أن أُعيدَ دروسَ الكبرياءِ على ذاك القلب ؟ "

أخبرني أرجوك لعلَّه أراد منك أن تصفعه مُجدَّداً حتى يعي بأنكَ لا شيء سِوى وهمٍ وسرابٍ مُتلاشي في عُمقِ خيالي

عُمقِ أفكاري .. عمقِ لا وعيي .. عمقِ قلبي !

غريبةٌ هي هذه الحياة فجأة تُقدِّمُ لك سعادةً من العيارِ الثَّقيل فما تلبثُ أن تُصدِّقَ ما تراه وتبدأ عيشهُ مطمئناً بأنها لك لِلنهاية

حتى تخطفها من بين يديكَ بِخفَّةٍ فتقعُدَ مذهولاً غير مُدركٍ لِما حدث

غارِقاً بين الندمِ والحسرةِ والشوقِ والألم

غارقاً بين مزيجٍ من المشاعرِ المتضادة والمتعاكِسة

غارقاً في اللاشيء سِوى ذاك السراب

فهل يعودُ السرابُ يوماً ؟..

أتمنى منكَ إجابة فورية إن أمكن ذلك

ملاحظة صغيرة ..

بعضُ الأشياءِ البسيطة قد تُنسينا من الألمِ أطناناً

ولهذا أحاولُ الاستمتاع بأشيائي الصغيرة كأوراقي وأقلامي لِأنسى ألماً سببه وهمٌ يلتحِفُ الغِياب !

الرسالة

(11)

... واقِعٌ عارٍ من الإنصاف ...

بهذه اللحظة بالذات من هذه الليلة القريبة من فصل الحنين والذكريات ..

فصلٌ سمَّيتُني باسمه رغبةً مني في الالتحامِ به وسبرَ سرِّه الذي أنا على يقينٍ تامٍ بوجوده حقيقة لا خيال

ذاك السر هو حلمي ومسعايَ الذي أسير على خُطاهُ مُتسلِّحةً بِحروفي وكلِماتي في سبيلِ الوصول إليه وعيشه والغرقِ

في ثناياه وأنا أشعر بدفءٍ يُذَوِّبُ جليد روحي المُتجمِّدة بِرفق .. بحنان .. وبِحب

إنه شتائي الدافئ الذي لا أعلم حقيقته أو ربما لا أستطيعُ تفسيرَ ماهِيَّته

بعضُ الأفكار نعتنِقُها ونفهمها جيداً ولكن يصعُبُ شرحها لِلآخرين ، أحياناً يُخَيَّلُ إليَّ بأنه مستحيلٌ وجنوني

فأنزوي بعيداً عن الأنظار في تلك الزاوية المُظلِمة من روحي وأنا أرتجِفُ خيبة وأسقِطُ قطراتِ انكِساري بإهدارٍ مُتعَمَّد

يذهبُ الواحد منَّا بأفكاره حدَّ الجنون ربما لِيُواريَ سَوءة هذا الواقع العاري من أي إنصاف

وأيُّ واقِعٍ مُنصِفٍ يرضى بأن تُحدِّد حربٌ معالِمه ، وتُشوِّه نظرة مُجتمعٍ بائِسٍ مُتمسِّكٍ بتقاليد جاهليَّةٍ وأفكارٍ عقيمة ملامِحه

وتُضوِّرُ جوعاً معِداتٍ خاويةً لِأطفالِه وفقرائه طبقاتٌ اجتماعيَّة " مُتهوِّرةٌ " بعاداتها وليست مًتحضِّرة !

أخبرني يا قمري عن حضارةٍ عريقةٍ تتباهى بالموائد والمشارِب الفائقةِ الفخامة وفي نهاية الحفلِ ترميها طعاماً جاهزاً

لِكلابِ الحيِّ الراقي وقِططه بدل جمعه وترتيبه شهِيًّا في عُلبٍ بسيطة أو حتى أكياس بلاستيكية " ليس في هذا أي مشكلة "

وأخذِها لعائلاتِ الحيِّ الفقير الذين يكادُونَ أن ينسوا حتى رائحة الخبز الطازج

تستفزُّني هذه الأمور حدَّ رغبتي في العودة لِلاشيء !

هذا الصباح حدَّثتُ عُصفوري الصغير وأنا أحتسي قهوتي بجانبه ، أخبرتُه كم هو محظوظ لأنه خُلِقَ عصفوراً

سألته ماذا لو كنتَ بشرياً ؟...

لا تضحك يا قمري أعلم جيِّداً أنه لن يُجيب ولكني أشعر أنه سعيدٌ بذاته كونه عصفور وكوني صديقته الجديدة أوجدتُ له جواباً

ربما تكون مُحاولةً غريبةٌ بعضَ الشيء ولكني على أي حال سأخبركَ بها لأنَّ قلبكَ يتَّسِعُ دوماً لِجنوني :

" لو كنتُ بشريّاً لكنتُ حسدتُ كلَّ طائرٍ ورغِبتُ في احتضانه مُطوَّلاً ، تلكَ المخلوقات مُسالِمة أتعلمين ما معنى " مُسالِمة " ؟

هي لا تفقه شيئاً يُسمى قتلاً أو دماراً حتى تصنعه وتفرِضهُ على بني جنسِها ، هي عندما تجوع تأكلُ حسبما تُمليه عليه حاجتُها

لا تعلمُ شيئاً عمَّن يُفضِّلون التباهي والتفاخُر وحِرمان غيرِهم لِينالوا استِحسانَ آخرين مثلَهم

ثم إنَّ الفقراء يتجوَّلون في كلِّ شارِعٍ وكل حي وربما يرتدون ملابِسَ خدمِهم وحشمِهم أمن المعقولِ أنَّ عيونَهم

المُبهرَجةِ بالزينة لم تتعثَّر بأحدهِم ؟...

حسناً يا صديقتي لن أكونَ قاسِياً لهذه الدرجة في حكمي

تلكَ الشاشة أو الشاشاتِ الأخرى التي لا تُغادرُ أيديهم وأعينهم ، ماذا تُراها تعرِضُ لهم ؟

أيُعقَلُ أنَّ شاشاتِهم أيضاً تعرِضُ لهم ما لا يُعرَضُ لكم ؟...

على الطاولة حيثُ وضعتِ قفصي أنظرُ إلى شاشتِكم التي تقعُ على بعدِ بضعِ خطواتٍ مني أثناءَ انهماكِ والدكِ في التقليبِ

بين قنواتِها حيثُ أرى كثيراً من الدماء والحروب التي لفظت الكثير في أعماق الفقرِ واللاَّحياة ، جائعون كُثُر وبطونٌ مُلتصِقةٌ بالظهور

وكأن معِداتِهم لم تجد سوى أن تأكُلَ أحشاء صاحبها ، مؤسِفُ وضعكم يا صديقتي ومخيفٌ عالمكم الخالي من السلام

السلام الذي أنعَمُ به أنا حتى داخلَ قفصِكم الذي وضعتموني فيه

أتعلمين !

لو أنني بشَريٌّ لَلعنتُ واقِعكم وعالمكم البائس وبشريَّتكم التي تفرِضُ سُلطةً لمن يملِكونَ أنياباً غادِرة وقلوباً مُتوحِّشة

وتعاسَةً شقيَّة وموتاً يُرفرِفُ بجناحيه لمن لا يملِكون سوى قلوباً صابِرةً وخاضعة

لو أنني بشريٌّ لَدعوتُ الله كلَّ ليلة كي يمسخني لِعصفور ، والحمد لله أنني عُصفورٌ حقاً !..

أمَّا الآن فأنا حزينٌ لِأجلِكِ ، لأنكِ بشريَّة !!!... "

ضحكتُ عند هذه الجملة وأخبرته أن لا يقلق لِشأني فأنا أملِكُ جناحَينِ يطيرانِ بي كي أصلَ لِلسلام

الكِتابة أجنِحتي !

من قالَ أن البشريَّ لا يملِكُ أجنحة ؟

" حبر وورقٌ وخيال " وهيا لِنُحلِّق !

سأكتُب ما أراه وأنا مُحلِّقة ، عن تلكَ البُقعةِ التي تتصاعدُ منها أدخِنَةُ القذائف والصواريخ الحقيرة

وعن رائحة الموت المُنتشِرة هنا وهناك

عن لونِ الدمِ الذي صار مشهداً اعتِياديّاً مع أيدٍ وأرجُلٍ وبقايا جُثَثٍ مُتناثِرة .. وربما قد تجِدُ أصابِعَ أيضاً !!

فتلكَ الحربُ دقيقةٌ جداً في تفتيتِ أهدافِها

سأكتُبُ عن أطفالٍ باتت أقصى أمانيهم رؤية خيال آبائهم اللذين باغتَتهم الحربُ بِرصاصةٍ صائبة أو ربما شظيَّةٍ شقيَّة

سأكتُبُ عن ظلمٍ طال وطال ولم يقف بوجهه أحدٌ بعد !

أتساءلُ دوماً : إلى متى ؟

لا أجِدُ إجابةً واضحة في ظلِّ هذه الظروف فأتبعثرُ داخلي وأتكوَّرُ على نفسي دافِنةً رأسي في صدري وأنتحِب

ولو أنَّ انتِحابي لن يفعلَ شيئاً سِوى رجائي الدائم أثناءه :

" أخرِجنا يا الله من هذه الدُّنيا الظالمُ أهلها وأنتَ راضٍ عنا ، واسكُب صبراً وبرداً على قلوب البائسين "

عزيزي القمر ...

أتعتقِد أنَّ واقِعاً يصِلُ أقصى درجات تشوُّهاتِه وعاهته أن يتعافى بإجراءِ عملياتٍ إنسانيَّة وزرعُ ضمائرَ وقلوباً حساسةً فيه ؟؟..

هذه المرة رسالتي مُبعثرة وغاضِبة مثلي تماماً ، رافِضة لِما تراه وليست تملِكُ من الأمر شيئاً

اعتبِرها فضفضةً عن ثقلٍ جاثمٍ على قلبي وحاولتُ إزاحته ، آملُ أن ينزاحَ عن قلبي وقلوبٍ مُرهقةٍ كثيرة ..

ملاحظة صغيرة ..

نحتاجُ بين الحينِ والآخر أن ننفِضَ ما يعتري قلوبنا و أفكارنا من غبائر ثقيلةٍ ولو برسالةٍ لن تُقرأ !

سنشعرُ بالخفَّة بعدها

الرسالة

(12)

... حضورُكَ الغائب ...

ينتابُني القلقُ اليوم ، أشعُرُ كما لو أني داخلَ فجوةٍ كبيرَةٍ مُظلِمة وفارِغة ، مُخيفةٌ لِدرجَةٍ تُصيبُني بالهلع

تخيَّل يا قمري بأنك تعيش في توتُّرٍ دائم من مجهولٍ غيرَ مُعلَن ، تُحاولُ مِراراً الوصولَ إلى نتيجةٍ جرَّاء تفكيرِك الدائم والمُتواصِل

فتفشلُ كلَّ مرَّةٍ وتجدُكَ بِذاتِ المكان وعلى ذاتِ الدرجةِ من القلق ، فتمضي عجلةُ الوقت ولا شيء جديد

أتساءلُ دوماً ذات الأسئلةِ المُعقَّدةِ وربَّما كانت بسيطةً بالنسبةِ لِشخصٍ آخر

تُرى ما هو الشيء الكبير الذي يكسِرني دون قدرةٍ منِّي على المقاومة .. صمتُك المُفرِط .. أم ادعائي لِوجودِك حقيقةً وتعلُّقي الشديد بك ؟

أتُراكَ وهماً حقيقياً أقحمتُ فيه نفسيَ الحمقاء دون سيطرةٍ مني عليها ؟

تنتابُني الرَّغبةُ دوماً بأن أكون ظلَّك ولو لِيومٍ واحد حتى أتعلَّم فنون اللاَّمُبالاةِ منك

وفنون النِّسيان وعدم الاكتِراثِ لي أنا المُتعجرِفة التي تعلَّقَت بِأذيالِ سرابٍ مُتلاشي

تنتابُني الرغبةُ المُلحةُ لمعرِفة تلكَ اللحظةِ التي وقعتُ بها على أعتابِ التَّعلُّقِ بك

أتُراني أحببتُكَ حقاً ذاك الحبَّ الذي يُشعِلُ في القلبِ

فتيلاً شديدَ الحرارة والدَّهشة حيثُ يترُكُ فيه نُدباً دائمَ الوجودِ والولَه ؟

أم أنني أحببتُ اهتِمامَكَ الأوَّلَ بي وسؤالَك الدائم عني والذي باتَ شبه معدومٍ حاليَّاً ؟

أظنُّ بأني تسرَّعتُ في فتحِ أبوابِ قلبي لِلحب ، رُبما كانَ عليَّ أن أكونَ أكثرَ حذراً وصرامَة

ولكن ، لن يُفيدَني اليومَ كلُّ ذاك اللوم ولا حتى إيجاد الأجوبةِ لِتلك التَّساؤلات التي ستقذِفُني إلى فجوةٍ أعمقَ وأظلم من ذي قبل

عزيزي القمر ...

سأُخبِرُك عن قراري النهائي الذي اتخذتُه الآن وفي ذاتِ اللحظةِ وأنا أكتبُ رسالتي

دعكَ من كلِّ الثَّرثرةِ التي تفوَّهتُ بها منذ لحظات وتناسى انكِساري وانفِضاح شوقي البارزِ بين التساؤلات

سأكون قويَّة جداً وسأُدرِّبُ نفسي على تجاهُلِ وجودِكَ أصلاً

لديَّ مفاجأة !!

وضعتُ جدولاً لِأحصي فيه الأيام التي لا تخونني فيها ذاكِرتي وتستحضِرُكَ لِتعبثَ بتلافيفِ عقلي فتُربِكُها بحضورِك الغائب !

ولكن لا تقلق ..

لن تتخلَّصَ من رسائلي الرَّديئة بسهولة ، أظنُّها ستكونُ وسيلَتي لتأنيبِكَ والقِصاصِ من برودِكَ القارصِ وصمتِكَ الخانق

فالكتابة أحياناً تكونُ ساحةً يجوزُ فيها القِصاصُ والانتِقام لِردِّ اعتبارِ قلبٍ قدمَ كلَّ ما عِنده مُقابِلَ حبٍّ غيرَ مؤكَّدٍ فِعلياً

حبٌّ ضائعٌ بينَ متاهاتِ الحروفِ والنَّبضاتِ و الأمل بحياةٍ ورديَّةِ اللون زرقاء المشاعر

لا أعلمُ إن كان قراري سيهُمُّكَ ويحسِم مسألة الصمتِ والانتِظار !

تلكَ التي أجدُها لِعبةً مُمِلَّة .. قاتِلة .. مقيتة

أعجَبُ من حبِّكَ لها !

ولكني شبهُ مُتحَمِّسةً لِقراري وسأدخلُ لعبتي التي قرَّرتُ قواعِدها وقوانينها بنفسي وإن فشِلتُ بعدها في ترتيبِ فوضانا

أكونُ قد حسمتُ النهاية فعلاً ونجوتُ بقلبي وكبريائي ومضَينا نحو الشروقِ مُخلِّفين وراءنا صراخاً يدعونا للعودة معترِفاً بالندم والانهِزام

ولكن .. بعد ماذا ؟..

عزيزي القمر ...

أشعرُ بارتِباكِكَ و أنتَ تقرأ هذه الرسالة ولكنَّك أنتَ من أجبرني على تغييرِ نمط تفكيري الساذج وانتظارِكَ بأملٍ نافذ

أعتذرُ عن القسوة ولكن بعضُ الأمور إن تمادَت بِوضعِها الضَّبابي غير الواضِح ، تفقِد سِحرها ورونقها وتذبُلُ بغيرِ أوانِها

ملاحظة صغيرة ..

بعضُ القسوةِ تَشي بِشوقٍ يكادُ يقتلُ صاحِبه

انتبه لهذه النقطةِ جيداً

الرسالة

(13)

... لِأنَّك موطِنُ سلامي ...

في تلك اللحظة التي قد تظنُّ بأنكَ تخطَّيت كلَّ صعبٍ

بأنك قطعتَ أميال الضعفِ والخيبةِ وبأنهم قد أصبحوا ماضٍ خلفكَ مركونٌ في أحدِ صناديق روحكَ الموصدة

في تلك اللحظة التي تجزِم بأنك حقَّقتَ هدفكَ السَّامي الذي اختاره لكَ الواقِع من خلالِ سيرِكَ في طريقٍ لم يكن بحساباتك

كان أيضاً من اختيار القدر لك !

يُفاجئنا القدر دوماً في مُباغتاتِه ، إنه بارعٌ جداً بلعبةِ الذهابِ والرجوع .. المد والجزر .. الوداع واللقاء وربما الوداع واللاَّشيء !!

تخيَّل أنه سيلعبُ أيضاً مرةً أخرى لِيُباغِتكَ بالعودةِ لِلماضي الذي اختطَفَكَ منه بقسوةٍ وبدون اعتبار ، أو بمعنى آخر " العودة إلى نقطة البدء "

تلك النقطة التي ما كانت سهلةً أبداً ، عندما تمكَّنت من اجتِيازها كانت المعجزة الحقيقية ، والمأساة الحقيقية !

أن تحصُلَ على معجزَةٍ بصعوبة وانتصارٍ قد يُحطِّمُ جداراً عالياً من خوف وأشياء أخرى تُجانبه وتُسانِده لِتحطيمِك

فتُحطِّمه بإرادتِك لِيأتي القدرُ بعدها ممتلئاً بنوايا الانتقام من هزيمته لِيسلِبُك انتصاركَ بطرُقٍ أقلَّ دمويَّةٍ وواقعيَّة ،بِطرقٍ تكتيكيَّةٍ

يُبعدك عن مصدرِ قوَّتك لِيكسِر مكمَن الثقةِ بروحِك

تُقاوِم وتحاول الرُّجوع بِلا جدوى

تستسلم وتنسى انتصارك ليأخذ مكان جدارٍ هدمتَهُ بإصرارِكَ آخرٌ أعلى وأقسى وأكثرَ بؤساً يُعيدُكَ لنقطةٍ أبعَدَ من البداية !

ولأنك بِطبيعتِك لا تُحبُّ الخنوع تتَّخذُ طريقاً آخر لِإثباتِ صمودك ، يُرافقُكَ الحظ حينها وربَّما كانت إرادتك الخجولة مُجدَّداً فتنجح !

وبِطريقةٍ ما تُراوِغ القدر لِتهدِمَ جدارهُ المتين ، وتهدِمه !!

والآن بعدَ أن خسِرتَ شيئاً كانَ جزءٌ بسيطٌ منه يُساوي الكون بأكمله وعُدتَ به إلى نقطةٍ أبعدَ بِكثير عما كُنته

بالمُقابِل ربحتَ حُلُماً جميلاً وُلِدَ من رحِم مُعاناتِك

هل ستتمكَّنُ من الرُّجوع لِما خلف نقطة البِداية بأشواطٍ عديدة ؟...

عزيزي القمر ...

كانت تلكَ الأفكار تتلاعَبُ بين تلافيف عقلي وتنشُر الفوضى فيه حتى أنَّ صُداعاً عنيفاً انبثقَ من رأسي لِيُثبِت حضوره

مُرعِبةٌ فكرةُ الرُّجوعِ لِبداياتٍ مُهشَّمة ، لِبداياتٍ عاثَ فيها اليأسُ والخيبة فساداً

أعلمُ مُسبقاً ما ستقوله أو هكذا خمَّنت :

" أنتِ قويَّة بإمكانِك المحاولة مُجدَّداً وبإمكانكِ تحطيم خوفِك مرةً أخرى ، لا تُرهِقي نفسكِ بالتفكيرِ المُستمر الذي لا فائدةَ منه "

فكَّرتُ بأنَّني إن كتبتُها قد نتوصَّلُ سويّاً لِحلٍّ جذريٍّ معها ولكنَّك كعادتِك لا تقبلُ بِمحاورتي عن أفكارٍ تعبثُ بتلافيفكَ حتى تفكِّر بأفكاري أنا

حسناً سأقبلُ الهزيمة وأعتبِرُ أني ناقشتُ مِساحةً بيضاء بقلمٍ لم يُفارِقها دونما آثارٍ عميقةٍ ظاهرة

رُبما ضجِرتَ من هذه البعثرة التي كتبتُها ولكنَّ قمراً عطوفاً لن يسمح لِلضجرِ أن يحيده عن قراءة بعثراتِ صديقةٍ وفيَّة

سأُخبرك بسر ...

الكتابة سحرٌ يُمسكُ يدك بِحنوٍّ ويأخذك إلى عالمٍ يحتقِرُ الضجيج الداخلي فيسمح للجميعِ بإخراجه والعيش بسلام

لهذا أكتبُ لكَ وأُصِرُّ على رغبتي تلك ، رُبَّما تحققَ الرَّجاء وتحوَّل قمري من وهمٍ غائب إلى حقيقةٍ حاضِرة ، أتظنُّ ذلك ؟...

ملاحظة صغيرة ..

ثمَّةَ يدٌ أخرى آمُلُ أن تُلامِسَ يدي

ربما كانت رسالةً ورقيَّةً مكتوبةً بِأنامل قمرِيَّةٍ خِصِّيصاً لي

بعضُ الرسائل لا تقتصِر على كونِها رسالة ، بل تتحوَّل لِيدٍ تمسحُ دموعاً ، لِنورٍ ينشُرُ أملاً

لِزهرةٍ زرقاء توحي دائماً بالانتظار المُجدي ، فليسَ كلُّ انتظارٍ عبثِيّاً !!

الرسالة

(14)

... بصمة فارِقة ...

الساعةُ الرَّابِعة فجراً الآن وأنا أحاولُ استِجماع ذكرياتي التي عِشتُها في الماضي البعيد والقريب

تنبَّهتُ أني لم أكُن بهذه القوةِ قبلَ الآن ولا بِذاتِ التصميم والإرادة ، بِصراحةٍ ما كنتُ سِوى بائسةٍ تُحاوِلُ إقناعَ نفسِها المتعبة بالقوة

وتحاوِلُ الإمساكَ بوهمِ أملٍ لم تكُن تراهُ بِوضوح فتتصَنَّع باسمه !

لم أقصِد بالتَّصنُّع ذاك الذي يتشابَه مع الأقنِعةِ الكاذِبة والوجوه المتغيِّرة دوماً حسبَ وضعِكَ المادي والاجتماعي معاً

ولا يعنيني ذاك التَّصَنُّع لأني أعتبره نوعاً من أنواع الكذب المُتشعِّبة وخصوصاً على الشخصِ ذاتِه ، إنها مُرهِقةٌ

سأُحاوِلُ إيصال فِكرتي لكَ يا قمري بخصوصِ الإرهاق ، لا تقلق

حاول أن تتخيَّل معي بأنَّكَ شخصٌ عاديٌّ جدّاً " مع أنك لستَ كذلك أبداً "

لِنعُد لِخيالنا ، أنت شخصٌ عاديٌ جداً ولكنكَ ترتدي الكثير من الأقنِعة لتُظهِر للآخرين بأنكَ شخصٌ تستحقُّ الاستِحواذ على كلِّ اهتمام

وبالتأكيد خطف الأضواء نحوك

كل شخصيَّة ستُقابِلها لها مميِّزاتها وطبعاً اختلافاتُها ، وبالتالي كل شخصية ستضعُ لأجلها قِناعاً يتماشى معها وإن لزم الأمر ستكذِبُ وتخدع

لِتصِلَ لشخصيَّة مُركَّبةٍ مُتعاليةٍ تستحقُّ ما تصبو إليه من مظهر

فكم شخصيَّة ستُقابِل في رحلتِك وكم قِناعاً يلزم تركيبه وتشكيله لِأجلِهم جميعاً ؟

والأهم كم كِذبةً سَتحِيكُ لتجد استحساناً منهم جميعاً ؟

بعضُ مُستخدِمي الأقنِعةِ يا قمري يتلاعبون بمشاعر الآخرين وأحلامِهم وبعد أن يسرقوا منهم الحياة ويجعلوا منهم أغصاناً ذابلةً مهزومة

يُلقون عليهم تحيَّة الوداع ويرحلون !

وقد لا يُلقونها ، يتسَرَّبون كالماء من بينِ الأصابع بسرعة

ثمةَ أقنِعةٌ يصعُبُ اكتشافها بسهولة وقد لا تُكتشَف إلاَّ بعد فواتِ الأوان

أليسَ ذلك فظيعاً ؟

لمَ لا نحافِظ على نقائنا وعفويَّتنا ونتقبَّلُ ذواتنا حتى لو لم يتقبَّلها الآخرين

لِنعُد إلى " التصنُّع " الذي قصدتُه في بداية رسالتي

تصنُّع السعادة والرِّضا بواقِعِك ، أن تُقنِع الآخرين بأنك سعيد بحالِك الذي لم تستطع الوصول إلى طريقة تُقنِع بها نفسك به

هذا ما قصدتُه ، أن يحسِدك الجميع على شيءٍ تتصنَّعُ تقبُّلَه أمامهم ولا قدرة لك على التَّعايُش معه

أن تكون ناجحاً بإقناعهم وفاشِلاً بإقناعك !

ثمة ما يُسهِّلُ الأمر في هذه الحالة كأن ننظرَ لمن هم أسوأ حالاً منَّا ، عندها تِلقائيّاً سنَقتنع و نحمد الله

عزيزي القمر ...

الفرق بين التَّصنُّعَين السابقَين هو أن أحدهما يحدث رغبةً بنشرِ الأملِ ومحاولة مُستَميتةٍ لِلتَّماشي مع الحياة بسهولةٍ وانسِيابيَّة وإقناعُ الآخرين

البؤساء بِأن لا وجود لِلمستحيلات والعقبات أمام التصميم والإرادة

والآخر من أجل وضعِ العقباتِ في طرقاتِ الحالمين وتثبيطِ عزائمهم

أتعلَمُ يا قمري أني اكتشفتُ لِلتَّو بأنَّ بعض الأمور السيِّئة التي قد تحدث معنا فلا نتحمَّل العيش في حدودها أو تقبُّلِها ولا نراها سوى القيود و القضبان

هي بابُ أمل خفِيّ !

ذاك الأملُ الدُّخاني الذي كنَّا نتمسَّكُ به ما كان سوى وهماً تابِعاً لِلسجن الذي قبعنا في ظلماته بإرادتنا

أما عن الأمور السيئة التي تُصيبنا فهي تصفعُنا كي نصحو ونرى أنفسنا بعينِ الوضوح والتجرُّد

تكشِفُ السِّتار عن قِوانا الضامرة خلف سرابِ أوهامنا التي تعلَّقنا طويلاً بأذيالها دونما أي تقدُّمٍ في حياتنا

اكتشفتُ بأنَّ الغربة هي الحقيقة والمرآة التي جعلَتني أتعرَّف عليَّ بِشكلٍ أوضح

بعض الأمور تحدُث لِتوقظنا من سباتنا فتتحوَّل بعد انتِهاء مهمَّتها لِذكرى تبقى كالبصمة الفارِقة لِتغيِّرنا للأفضل

ملاحظة صغيرة ..

تغيُّر الأحباب معنا فجأة وغيابهم الصامت والطويل قد يكون صفعةً ستُوقِظنا من حلمٍ كالسراب لِيتحوَّلوا بعدها لِبصمةٍ فارِقةٍ في حياتنا

ساهمت بِبلوغِنا مرحلة الرُّشد بعد الضياع

أيُعقل بِأنَّ غيابك سيكون صفعَتي القادمة لِأستفيق من وهم وجودك ؟

آمل أن لا يكون ذلك صحيحاً

الرسالة

(15)

... شِباكُ حُب ...

تأخرتُ بكتابَتي لِلرسالة هذه المرة فقد كنتُ غاضِبةً جدّاً ، وفي مرَّاتٍ عديدة بكيتُ كالأطفال الذين يفعلون ذلك بلا سبب

بيدَ أنّي عندما بكَيت كنتُ أعرف السبب ، في الحقيقة لم يكن البكاء لِسببٍ واحد بل لِأنني أشعر بأشياء تتصارعُ داخلي

من مخاوِف وخيباتٍ وندم

أتعلم بأن الندم زائر غليظ الحضور فهو لا يكف عن إزعاجك وتكرار مرات أخطائك التي ارتكبتها دون قصد أو درايه

وكأن له شاشةٌ تعرض أمامك فيلماً مملاً بغيض

إنه زائرٌ خبيث يأتي فقط بهدف إعادتك للخلف الذي حاولت جاهداً العبور منه بكل قوتك أثناء تقدمك

إنه لا يعرف الرحمة ولم يسمع عن المغفرة ولا يكفُّ عن ضربك بسياط الشُّعور بالذنب الدَّائم

عزيزي القمر..

لا أعلم لِمَ أقحمتُ الندم في رسالتي هذه لكنهُ شعورٌ اكرهه وعليَّ إخبارك بذلك على أيَّ حال

لقد وعدتك سابقاً أن أكتب لك عن كلِّ ما أفكر فيه وأشعر به وها أنا أفي بوعدي

عزيزي القمر..

كثيرةٌ هي مخاوفي ولكنَّ خوفاً واحداً يكادُ يواريها جميعاً خلفه ويحجبها بحجمهِ الكبير

أشعر أحياناً أني تسرعتُ بفتح قلبي لنسماتِ الخريف التي أطاحت به في شِباكٍ لا أعلم حقيقةً إن كانت

"شِباكَ حب"

يُخبِرُني قلبِي المُنكسِر خيبةً وشوقاً بأنه ربما كانت لحبٍّ عابرٍ يمرُّ كالنسمةِ اللَّطِيفة في أيام الصَّيف شديدةِ الحرارةِ ثمَّ تبتعدُ للبعيدِ

حيثُ لا نوجدُ نحنُ ولن نوُجد سامحةً لاختناقِ حرَّ الصيفِ بالهيمنةِ على المكان الفارغ من ألوان الراحةِ والطمأنينة

وأحياناً أُخرى يُربِكُني عقلي بتأنيبه القاسي لي مُحاولاً إقناعي بأنَّ لِكلِّ نسيمٍ عذره وله عودةٌ لا شكَّ بهاَ

فالأرضُ كرويةٌ والنسيمُ يدوُرُ حولهاَ وداخِلَ حدودهاَ

ويقولُ بلهجَتهِ الوقوُرةِ بأنَّ ثمَّةَ ما يُسمى ب"الصدفةِ" وبأنني رُبما أصادفه في مكانٍ أخرَ على هذا الكوكب

مكانٍ أكثرَ جمالاً وحناناً , مكانٌ كالوطن الذي يحتضِنُ رُوحي منذُ غيابِي عنهُ ، كالوطَنِ سيحتضِنُ قلبي برفقٍ للأبد

رُبماَ كانَ قلبُكَ يا قمَريٍ ذاكَ الوطن الذي لم يفتح لِي أبوابهُ بعد لأستقر على أرضه وأتنفسَّ حبهُ وأستشعرَ الحنانَ والأمانَ

داخِل حدُودَه

آمُلُ أن يُنَبِّهكَ قلّبُكَ لذلكَ الأمر ويذكِّركَ بي وأنتَ تنغمسُ في غيابك

أن تبكي للاشيء يا قمري يعني أنَّ ثمةَ ما هُوَ فِي أقصى قلبك لم تفصحَ عنه رُغمَ تفاقمهِ الدائم وإلحاحهِ المُستَمِر للإفصاح

وأنت ذاكَ الشيء المدفون في قلبٍ والذيِ أَبكِيهِ كُلماَ مرَّ طيفهُ بِبالِي وكُلَّمَا حَاولتُ تَهجِئَةَ حُروفه وفَكِ شِيفرَاتِ غِيابِه

ولكن بلا جدوى !

قَد تَستَغرب كَلمةَ " مَدفُون " وَرُبماَ لن تُحبهاَ لأنها تعني المَوت الذي ما انفَكَ يُغادِرُ وطنناَ وكَأنهُ قرَرَ إقَامةً دائِمةً هُناك

مُغرِيةَ أرضُكَ يا وطنِي لِدرجَةٍ جذبت الموتَ إِلَيك فأقام فيكَ وأحبَّ البقاء داخل حضنك الدافئ

ملَأ جوفَك بالكثير من الأجساد عديمةِ الأرواح !

كان الله بِعونِ الوطن

على أيِّ حالٍ سأُقنِعُكَ بالكلمة على طريقتي يا قمري و أعدكَ بأن تُحبّها

عندما ندفِنُ أحبابنا في باطِن الأرض فإنها ستحتضِنهم وتحتفِظ بأجسادهم حتى يحين يوم القيامة

وكذلك سيحتفِظُ بكَ قلبي !

ملاحظة صغيرة ..

بعضُ الكلماتِ التي تُوحي بالتَّشاؤم قد تُوحي أيضاً بالتفاؤل

الأمر يعتمد على نظرتِنا وتفسيرنا لِلأمور

الرسالة

(16)

... غارقٌ في الغياب ...

يَغرقُ الغائبُ بِغيابِه حدَّ التَّلاشي !

ولِأني أعلمُ بأنَّ الغارِقَ بالشيء لا يعود

قرَّرتُ رفع راياتِ استِسلامي النهائي

ووقفتُ عاجِزةً ما بِيدي سِوى بِضعِ ذكرياتٍ ليسَت لِلتخفيف من هولِ الفِراق

ولكن لِأَغرِسها سكاكينَ في قلبي كلَّما مرَّ خيالٌ أو لاحَ طيف

يغرقُ الغائب بِغيابه حدَّ الاختفاء !

و لِأني على دِرايةٍ بأنَّ الاختِفاء يعني اللاَّ وجود

جهَّزتُ عِدَّتي من الدموعِ والكِتمان منذُ أولِ غِيابٍ جزئي

فالجزء يتبعه جزءٌ آخر حتى يكتمِلَ سواداً وضبابيَّة

ولِأني على دِرايَةٍ أيضاً بِقلبِك وما يحمِلُه لي من حب

ضربتُ خساراتي وبكائي بِعرضِ حائط اليقين بِحبِّك والتحَفتُ الصَّمت والوِحدة

ارتدَيتُ شالَ الأمل بِرجوعِك وبدأتُ بارتشافِ قهوة صباحي الخامِس والتسعون بدونك

ملاحظة صغيرة ..

للانتِظارِ قدرةٌ رهيبةٌ لِجعلِنا نفعلُ أموراً غريبةً عنَّا يشوبُها الجنون أحياناً

كأن نقوم بِعَدِّ أيَّامِ الغِياب

أو أن نُقرِّر فعلَ شيءٍ ونقومَ بآخرَ مُغايِرٍ له تماماً !

الرسالة

(17)

... نُبوءاتُ قلبٍ لم يكبر بعد ...

لِغيابِك قدرةٌ عجيبة على جعلي سابحةً باللاَّشيء إلاَّ شبهَ ملامِحَ اجتَهَدَت مُخَيِّلَتي في صُنعِها من أجلي بهدفِ إرباكي

وإرباكِ حروفي التَّائهة والمُبعثَرةِ هنا وهناك

ولهُ أيضاً القدرةُ ذاتها على استِفزازي للكتابة من أجلك ولو كانت الجُملُ ركيكة غير مُنمَّقة

جنونٌ مني إن صدَّقتُ نبوءاتِ قلبي الذي لم يكبُر بعد ومشيتُ خلفه بلا هُدى كما يمشي الكِبارُ خلف الصغار لِمعرفةِ ما يريدون

أتعلمُ بأنَّ الأطفال لهم قُدرةٌ عجيبة على مُباغتةِ الكِبار للحصولِ على أُمنياتهم وأشيائهم ، لأنهم يعرِفون ما يريدونه تماما !

عندما كنتُ طفلةً كنتُ كذلك ، لم أتنازل يوما عن شيءٍ رغِبتُ به إلاَّ وكان مِلكي في نهاية المطاف

ولم أترُك فِكرةً غير قانِعةٍ بها تُربِكني أو تُسيطِر علي ، ولو كانت أفكاري هي الخاطئة كنتُ أدافِعُ عنها بِشراسةٍ

ولا آبَه إن كنتُ سأندمُ لِأجلِها أم لا ، لأنها كانت تخُصُّني

كنتُ شديدة العِناد لِما يُحبُّه قلبي ، وشديدة الصرامةِ للحصولِ على ما يسمو به عقلي

وإلى الآن أنا كذلك

أزدادُ عِناداً يوماً بعد يوم رُغم كثرةِ خيباتي وانكساراتي إلاَّ أنِّي في كلِّ مرَّةٍ أقفُ فيها أُخبِرُني حتى أحافظَ على اتِّزاني :

" لا تقلقي عزيزتي ، هذا درسٌ مجَّاني قدَّمته لكِ الحياة على حينِ غفلةٍ ، إحفظي قواعده و دوِّني الملاحظات الهامة وامضي قُدُماً

جميعُنا نُخطئ مشاعِرنا والأقوى من لا يُخطئُ ثانيةً"

أنتشي بعدها وآخذ نَفَساً عميقاً وأرمي كلَّ ما عِشتُه وتسبَّب في خِذلاني بِمقبرةٍ أردِمها بترابِ النسيان لِأبدأ من جديد

وكأنَّ كل ما حدث لم يكُن

يحدُثُ أحياناً أن تنقلِبَ الأمور رأساً على عقِب ، وأن يخرُج استِثنائيٌّ من صدفةٍ عابِرة وربما من خيالٍ مُطرَّزٍ برداءِ وهم !

لا أعلمُ ما أنتَ أيُّها القمرُ حتى أعجزَ عن دفنِكَ في مقبرةِ النِّسيانِ ذاتِها وأنفُض غبار تعلُّقي بكَ عن قلبي وعن تلافيف رأسي التي ما انفكَّت

تُحلِّلُ جمودكَ وصمتكَ وبرودكَ ولا مُبالاتُك ، وأحياناً هروبك !..

عزيزي القمر ...

أتظنُّ أنَّ باستِطاعتي استِحضار عنادي ومواجهتَه مع حضورِك لِأرى من سيردِمُ الآخرَ في تلك المقبرة ؟

أشعرُ وكأن الكلمات هي من تُسيِّرُني لا أنا ، وإلاَّ كيفَ تُفسِّر تلك الحروف التي تُخفي خلفها رغبةً لِشنِّ حربٍ فاصِلة

تفصِلُ بين حنيني الذي يكادُ يفضحُ تهالُكي وغرورَك

ملاحظة صغيرة ..

بعضُ البعثرة قد تُلَملِمها رسائلُ من حروفٍ صادِقة مُحِبَّة .. الكتابة حياةٌ !

الرسالة

(18)

... تذكرة غالية الثمن ...

على قارِعةِ الطريقِ عندما نلتقي صدفة

سأنظُر في عينَيك مليّاً ، سأنسى كلَّ ما حولي

سأتمنى أن يقِفُ الزمن هناك طويلاً حتى أتمكَّن من الغرقِ في أعماقِ تلكَ العينَين

ستبتسِم لي من بعيد وكأنَّك غير مُصدِّقٍ بأنِّي حقيقة تقِفُ أمامك لا خيال !

سأرُدُّ لك بابتِسامة مُطَمئِنَةٍ لا تخلو من الفرحِ المُتطايِر في الأرجاء كفراشاتِ الربيع

على قارِعةِ الطريق عندما نلتقي صدفة

سأهرُبُ بخيالي إليكَ وأطبعُ قُبلةً على خدِّكَ الأيمن ، وأهمِسُ لك بـأنَّ انتِظاركَ كان تذكرةً غاليةَ الثمن لِلسفر إلى حدود قلبك

والاستِقرار في فضاء وجودِك

بِأنَّكَ تستحِقُّ عُمراً من الانتِظار ، وبِأنَّ صباحاً يبدأ بكَ ويوماً كاملاً ينتهي بك ما هو إلاَّ المحطَّة الأخيرة والأبديَّة المنشودة

عزيزي القمر ..

تأخذُني الكتابة إليك لِعالمٍ بعيدٍ عن عالمِنا الأسود وعن ضجيجِه الصَّاخب بالمآسي والأهوال

تأخذُ بيدي لِخيالٍ ورديٍّ لا شيء فيه سوى الحب

وعندما أطأُ أرضَ الخيال لا أجدُ في المكانِ إلاَّك لِأُحدِّثك عمَّا في قلبي وخاطري على أوراقٍ تُطوى وتختبئ بِظروفٍ

كرسائلَ قد لا تصِل

لا أعتقِدُ أنَّ وهماً قد يمتلِكُ صُندوقَ بريدٍ ، أتظنُّ ذلك مُمكِناً ؟!

ملاحظة صغيرة ..

قد تتقلَّصُ الأحلام لِتُصبِح صدفةً نختلِقُ حدوثَها بِخيالِنا ، نعتقِدُ بِأنَّ حدوثها سيُغيِّر مجرى الأحداث التي نعيشُها بأكملِها

لِلحدِّ الذي قد تنقَلِبُ فيها حياتُنا رأساً على عقِب لِنغرقَ بعدها بِالحبِّ والسَّلام ولا شيء آخر

وقد تكونُ هذه الأحلام مُجرَّد تمسُّكٍ بِحِبالِ أملٍ قريب وسعادة قادمة

الرسالة

(19)

... أن أحِبكَ يعني ! ...

تحوَّلَ الفرحُ الذي كان ينبِضُ به قلبي إلى الخوفِ المصحوبِ بالترقُّب طويلِ المدى

وذاك الأمل بِوجودِك قربي والذي كان يلُفُّني ويُطَوِّقني بِتُّ أبحثُ عنه فلا أجِدُ منه إلاَّ بقايا مُتناثِرة لا تفي بالغرض

أمَّا عن الكتابة لك والتي كانت بِمثابةِ عيدٍ بالنسبةِ لي ، باتت كالعزاءِ والمُهدِّئات تُحاولُ مسح دموعي المُنهمِرة مع الحروف والكلمات

أن تذرِفَ امرأةٌ دموعها من أجلِ شخصٍ يعني أنَّ الحبَّ في قلبِها تعدَّى الحدود جميعها وتأصَّلَ غارِزاً جذوره في العُمق

لقد ذرفتُ الكثير يا قمري ليس شوقاً فقط بل رهبةً أيضاً !

الغِيابُ مُربِكٌ جدّاً ، إنه يضعُني أمامَ احتِمالاتٍ كثيرة ، وقد أصابَتني كلُّ تلك الاحتِمالات بالدُّوار والأرق

ربما كان الاستِسلام وإغلاق بابِ القلبِ وفتح نوافذِ النسيان لِلسماح له بالتَّسلُّل هو الحل !

أتظُنُّ بأنَّ النسيان قادِرٌ على استئصالِ حبٍّ تمتدُّ جذوره في الأعماق ؟

لا أظنُّ ذلك

أن تنسى حُبَّكَ يعني أن تنتَزِع قلبَك من جسدِك لِتتحوَّلَ لِلخواء

القلب الذي لا ينبُض إلاَّ لِأجلك أتُراهُ يَنسى يوماً ؟!

فكرة أن يخونَني قلبي لحظةً ، مُرعِبة

عزيزي القمر ..

عندما يتمكَّنُ الحبُّ من القلبِ يستحيلُ فتح أيِّ نافِذةِ نسيانٍ واحدة

أعترِفُ أنِّي حاولتُ فتحها لكنني فشِلت، أتذكُرُ الجدولَ الذي أخبرتُكَ عنه في رسالةٍ سابِقة ؟

ذاكَ الذي وضعتُه لإحصاءِ عدد الأيَّام التي لم تُقحِمكَ فيها ذاكِرتي بِفكرةٍ أو ذكرى أو حتى حلُمٍ كلَّ لحظة. لقد كان مصيرهُ التَّمزُّق جرَّاء الفشلِ الذَّريع

أحضرَتكَ ذاكِرتي مؤخَّراً لِحُلُمي ، كنتَ تقِفُ بِثقةٍ وثباتٍ وعلى وجهِكَ ابتسامةٌ ساحرة بالقربِ مِنِّي

عندَما تلاقَت أعيُننا بِسلامٍ قلتَ لي بِصوتٍ لا يخلو من الهدوء :

" لا تسمحي لِلاستسلامِ يوماً أن يدخُلَ حياتكِ مهما كانت الظروفُ حولكِ صعبة ". أرأيت ؟ ..لا مجال لِلتعامل مع النسيانِ ضِدَّك

أن أحبَّك يعني أنكَ جزءٌ من كلِّ شيءٍ حولي

قد تكونُ ذرَّاتِ الأوكسيجين التي تتغلغلُ داخلَ كلِّ خليَّةٍ في جسدي لِأعيش ، أو رشفةَ الماء التي تُشبِعُ ظمَئي بعد عطشٍ طويل

ربما تكونُ قطعةَ الشوكولا التي أعشقُها ، تلك التي تذوبُ داخلي لِتُهدِّأ غضبي وتنشُر سعادةً غامِرَةً بعد لذَّةٍ استمتَعتُ بها لِلحظات

قد تكون كوب القهوة الصباحي الذي أرتشِفُه على مهلٍ وبِتَلذُّذٍ مانِحاً إيَّاي قوَّةً مُضاعَفةً لِإنهاءِ اليومِ بِنشاطٍ وعلى أكملِ وجه

أحياناً يُخَيَّلُ إليَّ أنَّ قلمي الذي أُمسِكه بِكلِّ حبٍّ وأنسِج منه حُروفي وكلِماتي ما هو إلاَّك

بعد كلِّ انتِهاءٍ من ثورَةِ كتابَةٍ فُجائيَّة التَّوقيت أُفاجَأُ بِأني كتبتُكَ وحدك

وكأنَّك أملَيتَ ما عليَّ أن أكتُبَ رغبةً منكَ لِإثباتِ استحالة نِسيانِك

عزيزي القمر ..

أخبرني كيف لِلنِّسيانِ أن يتسلَّلَ لِقلبي وقد أحطتَ بي وبه من كلِّ جانب ؟

فِكرةُ النِّسيانِ لا تُغريني بيدَ أنَّ شُعوري الدَّائم بأني مُهمَلَةٌ و مُبعَدَةٌ يجعلها تجولُ باستِمرارٍ بين أفكاري

عزيزي القمر ..

لقد تمَكَّنتَ من قلبي وباتَ من المُستحيلِ إقصاؤكَ بنسيانٍ مُبتَذَل !!

بالمُناسبة ...

بِحُكمِ أنَّكَ وهميَ الذي اختَلَقتُ وجود خيالِه من تِلقاءِ نفسي يحِقُّ لي أن أكتُبَ لك رسائلي الرديئة لِأنَّك الأقرَب لِقلبي وخيالي

ولا حاجةَ لي بالتَّكلُّفِ لِتنميقِ الكلمات وتكرار قِراءتها مَرَّاتٍ عِدَّة لِلتأكُّدِ من وجود أي خلَلٍ أو خطأ أو عدم اتِّساقٍ بين الجمل

لأنَّ الكلمات التي تخرجُ من القلبِ بِتِلقائيَّةٍ بإمكانِها الولوج بِذاتِ التِّلقائية لأيِّ قلبٍ يقرؤها

ملاحظة صغيرة ..

جميعُنا بِحاجةٍ لِقريبٍ يبوحُ له بكلِّ شفافيَّة وعفويَّة ، على جميعِنا البحثُ عن ذاكَ القريبِ لِقلوبِنا

وإن استعصى إيجاده بين البشرِ ، ثمَّةَ شمسٌ وقمرٌ ونجومٌ في السماء ثمَّة أشجارٌ وطيورٌ صغيرة ملوَّنة

ثمَّة ما نحتَضِنُه بدفءٍ قبلَ أن تغفو أعيُننا كدُمى الطفولة مثلاً

الرسالة

(20)

... كميعادِ الشمس ...

كيف لِلشيءِ أن يعيشَ داخِلنا ولا نعيشه ؟

ذاكَ السؤال أصابَني بالأرق ، إنه يدورُ بِعقلي ولا يكُفُّ عن الوُلوجِ داخلَ تلافيفه لِينبَثِقَ مع أفكاري الكثيرة التي لم أستَطِع إيجادَ تفسيرٍ

منطقيّ يُبرِّرُ تكاثُفها بعد

إنه الوطن الذي بداخلي ، يعيش مستوطناً قلبي وأعماقي

ولكن للأسف لا أستطيع الوصول إليه

ذات وداعٍ جفت دموعي انهماراً حدَّ انغمارِ روحي بالكآبةِ والسقم

وذات غربةٍ تغيّرتُ عنّي فلم أعرفني ، لم يعد هناك شيءٌ سوى الضوضاء التي تدوي داخل رأسي

وتشتتُ في رغباتي وإراداتي

الوحدة تملأ روحي وحنينٌ لذاك الوطن البعيد الساكن أعماقي يمزقُ قلبي

مشتّتٌ هو الوطن يا قمري

هزيلٌ أصابه الهرم المبكّر تحديداً في روحه ، بات كئيباً .. مريضاً وضعيفاً للحدّ الذي دفعه لإن يستسلم لأمر

إقصاءِ أبنائه عنه ومنه

بات الموتُ والسواد يلفانه , والصراخ والعويلُ يُرَبِّتانِ على كتفه واللون الأحمر طغى على كل لون آخر يدعو للحياة على أرضه

ستسألني عن الياسمين وعطره , سأخبرك عن رائحةٍ أقوى استطاعت بشراسة وحشيتها تبديد العطر وخنقه وانتشرت في أرجائه

بطريقةٍ جنونية , رائحةٌ من نارٍ ملازمةٍ للموت

ستسألني عن أصوات الحياة والأمل , سأخبرك ببراءة الأطفال و عفويتهم :

ثمة أصوات " بووووم " قوية تهزُّ الأرض هزاً

ستسألني عن كل شيء بالوطن , سأُخبرك بذاتِ النبرةِ الحزينةِ :

أصبح الوطن مأتماً تقام فيه التعازي ومراسيم الوداع كلّ يوم

في كل يومٍ يوجد وداع إما لمقبرةٍ أو لمنفى

ما عاد للوطن أفراحٌ يا قمري !!

ما عاد للوطن أفراحٌ !

عزيزي القمر..

أعلم بأنك مثلي تشتاق للوطن وأنا على درايةٍ بأنك تحلمُ بالعودةِ أيضاً

متى أخلفت الشمسُ ميعاد شروقها ؟

بداخلي يقينٌ كميعاد الشمس لن يُخلف أوانه , سأنتظره بصمتٍ وأمل

عزيزي القمر ..

يحدث أن يفيض القلب بالكثير من الكلمات الخانقة ولا بدّ من وسيلةِ تفريغ

سعيدةٌ بوجودك لو بالخيال

ملاحظة صغيرة ..

قد يكون الانتظار طويلاً ومتعباً لكنه سينتهي حتماً

أليس كلُ شيءٍ زائلٌ بالنهاية ؟

الرسالة

(21)

... هل أحبَبتُكَ حقّاً ؟ ...

رُبما تمادَيتُ بِخطوَتي الأولى تجاهك منذُ اللحظةِ الأولى

حيثُ أخبرتَني بأنِّي أشغِل حَيِّزاً كبيراً من تفكيرك

وأنَّ ترديدَكَ لِحروفِ اسمي كلَّ لحظةٍ يؤثِّر ، لا بل يتحكَّمُ بِنبضاتِ قلبِك

لعلِّي تسَرَّعتُ حينها وبنَيتُ لي قصوراً من أحلامٍ ربما لن تكون

هل أحبَبتُكَ حقّاً ؟

لطالما راوَدَني هذا السؤال وباتَ يزيدُ إلحاحُه الآن أكثر من ذي قبل
كلَّ مرَّةٍ كنتُ أُجيبُ بِذاتِ الجواب الذي لا يملِكُ قلبي سِواه

" أحببتُكَ بِكُلِّ ما في الكونِ من حُبٍّ ولا أعتقِد أنَّ أحداً يستحِقُّ ذاك الحبَّ سِواك "

أتعتقِدُ يا قمري بأنِّي كنتُ أُبالِغ بِإجابَتي أم أنَّها الحقيقة ؟

الطُّرُقُ المُحَيِّرَة تُربِكني ، وكثرَةُ الاحتمالاتِ المُنبَثِقةِ على جانِبَي الطَّريق تجعلُ من الضَّياعِ والتِّيهِ النسبةَ الأكبر لِلنهاية الحتمِيَّة

عزيزي القمر ..

كثيراً ما خبَّأتُ ألمي جرَّاءَ تصرُّفاتِك عديمةِ المُبالاة داخل قلبي خشيةَ أذِيَّتِك أو إلحاقِ الألمِ لِقلبِك !

كلَّما باغَتَّني بِغيابٍ مفاجِئٍ كنتُ أُراوِغُ الهلَع والخوف من فقدانِك لِلأبد

أحاوِلُ إقناعَ ذاتي وقلبي وعقلي بِأسبابٍ وهمِيَّةٍ تماماً !

أتُصَدِّقُ بأنَّ أفكاري صارَت تمُدُّني بِأعذارٍ سريعةٍ من أجلك كُلَّما آلَمَني غيابك ؟

أتعلَمُ يا قمري ما معنى أن تُصارِعَ نفسكَ كلَّ لحظةٍ ، أن تختَلِقَ قِصصاً وحكاياتٍ بِهدفِ تهدئةِ الأطرافِ المُتنازعة " العقلُ والقلب "

سأخبِرُكَ عن بعضِ تلك النِّزاعات :

" – هو يحبُّني لذلك سيعود ..

- كيف لِقلبٍ يُحبكِ بصدقٍ أن يترُكَكِ تتلَوَّين ألماً وشوقاً ؟..
- ربما كان لديه ظروفٌ خاصَّة ..
- أيُّ ظروفٍ تلك التي تجعله يبتعِدُ عنكِ مُتَخلِّياً كلَّما سنَحَت له الفرصة ؟
- لكنه لم يتخلَّ عني ..
- صّه .. ألا يعني لك ذاك الغياب المَشُوب باللامبالاة شيئاً ؟ ، وماذا عن رسائلكِ عديمة الردود ؟
- مُتأكدة من أنَّ هناك مُشكِلة تمنعه

كفاكِ غباءً وسذاجةً .. "

ويستمِرُّ النِّزاع ، وأستمِرُّ في التوتُّرِ والخوف

هل ترى بأنَّ ذلك عادل ؟

ملاحظة صغيرة ..

قد تكونُ بعضُ الخيارات التي نقومُ باختِيارِها تحمِلُ لنا الكثير من المتاعِب والصعوبات وعلينا التحلِّي بالصبرِ لإتمامِها على أكمل وجه

لو لم تكُن خيراً لنا ، ولو أنها لم تكن تُشِعُّ نورَ حياةٍ في نهاية النفقِ الذي أردنا اجتِيازه لَمَا كُنَّا آمَنَّا بها حقيقةً

قد تكونُ إرادة الله لنا وعلينا أن نُكافِح لِأجلِها ...

ملاحظة صغيرة ...

أنتَ اختِياري !..

الرسالة

(22)

... جنونٌ و هذيان ...

أتدري ؟..

أحياناً أشعُرُ بأنَّ أحداً يستوطِنُ عقلي ويتحكَّمُ بِتلافيفِه وأفكاره!

إنَّه لا يكُفُّ عن إغراقي بدوَّاماتِ أفكارٍ ومشاعر غريبةٍ لا أعلمُ من أينَ تأتيني

ويَبُثُّ بِروحي مَخاوِفَ ما كانَ لها أيُّ وجوداً ، لِتأكُلَ من قوَّتي

تخيَّل !

باتَت تصرُّفاتي جنونيَّة وغريبةً بعضَ الشيء

لا أعلم ماذا يحدث حقّاً

وكأنَّ أحداً يُسَيِّرني حيثُ يشاء ومِثلَما أراد

لا ينفكُّ يحتجِزُني في حجرةِ المنفى لِيُذكِّرني كلَّ مرَّةٍ بأني غَدَوتُ بلا وطن !

يُمرِّرُ صوراً أمامَ عينَيَّ لِمنزلي الذي ما عاد لي فيهِ شيء سوى الذكريات

ويُخبِرُني بِهمسِ غليظٍ قريبٍ لِلسُّخرية بأنَّ شرفتي التي كانت مُستقرِّي ومهرَبي وعالمي

ما عاد لي فيها شيءٌ سِوى طيفٍ مشلولِ الأحلام مبتورَ الآمال

وبأنَّ نجومي جميعاً انطفأت ودفنَت برحيلِها حكاياتي

أكادُ أجزِمُ بأنَّ حديثاً بدأَ يدورُ بينَكَ وبين نفسِكَ يتمحوَرُ حولي

بأنِّي بدأتُ أهذي !

ولكن ماذا عن نوباتِ الغضبِ المُفاجئ ؟

وماذا عن البُكاء الذي يجتاحُني دون سابقِ إنذارٍ بقُدومِه ؟

يا الله !!

أكادُ أُجَن ومُوقِنةٌ بأنَّك مُتأكِّدٌ من ذلك

ماذا لو أخبرتُكَ بأني ذاتَ جنونٍ أخفيتُ سِرّاً دامَ لِسنواتٍ يُعذِّبُ روحي ويُرهقني ؟

رُغم يقيني بأنه لم يكُن لي قط
!

ظلَّ مُلتصِقاً بي كالكابوسِ وبقيتُ مُتمسِّكةً به بِهلوسةِ المجانين
!

حاولتُ مِراراً رميَهُ وإفلاتَه لِأتحرَّر من سخافة التعلُّق

وكانت مُحاولاتي جميعاً فاشِلة

حتى أن نجومي وشرفَتي كانوا الشَّاهِد الوحيد على تلكَ الحماقة

وبعدَ أن استوطن الوطن صوت الرّصاصِ ورائحة البارود

وبعدَ أن نُفيتُ ، تمكَّنتُ أخيراً من التحرُّر والتملُّصِ منه

ولكني لم ألبَث طويلاً حتى سكن قلبي سرٌّ أعمقَ وأجمل

لذيذٌ كوردةٍ زرقاء ظهرَت أمامي فجأةً لِتعتنِقَ قلبي لها مسكناً وتمدَّ جذورها بأعماقِ روحي حتى تُزهِر

كوطنٍ احتضَنني وخوفي وجنوني وهذياني وحماقاتي بِحُب

أتُصدِّق بأنَّ أحداً يستمتِع بإخفاء سر وَتحمُّلِ تبِعاته !

بعضُ الأسرارِ تُثقِلُ الكاهِل تعباً وإرهاقاً وأرقاً

تُعيقُ النبض حتى تُوقِفهُ أو تُقرِّبه من الأجلِ رويداً رويداً

ولكنَّ سري مُختلِف و مُتميِّز ، جعلَ من قلبي يكادُ يكونُ راقِصاً من شدَّة الفرح

جعلَ من قلبي وكأنهُ بستانٌ من الياسَمينِ النقي والوردِ الأزرق

عزيزي القمر ..

أخبرتُكَ مِراراً بأنَّ حُبي لكَ مُختلِفٌ كاختِلافي

ومميَّزٌ بالأزرقِ كما هو حالُ قلبي وأشيائي

مرَّةً كتبتُ جُملةً دُهِشتُ كيف خرجت مني

"والأزرقُ لونُ الحب " !

لم أكن أعلم ما تعنيه جملتي إلى أن عرفتُك وعِشتُها معك

أكادُ أجزِم بأن من يسكُن عقلي كان يعلمُ بِوجودِك

وبأنَّ قلبي سيمتلئُ يوماً بك

وإلاَّ كيف له أن يستَفِزَّ رغبَتي لِكتابة تلكَ الكلماتِ على ورقتي قبلَ مجيئك ؟

ملاحظة صغيرة

بداية الهذيانِ بأحدٍ تعني بأنَّ العشق تمكَّن من القلب وصار انعِدامه مستحيلاً

وأنا أهذي بكَ يا قمري !

الرسالة

(23)

... فلتَكُن شاشة التلفاز ...

وحيدةٌ هذا المساء أجلسُ أمام شاشةِ التلفاز وأحتسي مشروبي المفضل الذي لم تستطع غربتي حرماني منه

أنا وشاشة التلفاز مُتواجهتان كلانا تنظرُ بوجه الأخرى بعمق

كلانا تحاول اختراق الأخرى وسبر أغوارها

كلانا تحاولُ ملء فراغٍ ما يخنقها ويحتويها

أنا وشاشة التلفاز صامتتان في الظَّاهر وبداخلنا ضجيج ودمار

أنا وهي نصدر أصواتاً حسب رغبتي أنا !

أنا سأبقى ملتحفةً الصَّمت

أما هي فقد ضغطتُ زرَّ جهاز التحكم لأجل أن تصدر صوتاً

لأجلِ أن تُبَدِّد السُّكون الثَّقيل حولي

السُّكون يُزعِجُني .. يُرهِقُني . ويُرعِبُني

داخلي هلاك .. داخلي أرضُ معركة شرسة

تماماً كَتلك المعارِك داخل شاشة التلفاز مع فارقٍ بسيط

أنَّ بداخلي أمل

ثمة برعمٌ أخضر ينتظر أن يكبُر

تُربِكني شاشة التلفاز , تستَفِزُّني بِصرَخاتٍ وأصوات قنابلَ مُدَمِّرة

تُغضِبُني تلك التي تستعرِضُ النكباتِ والموت وما هو أقسى من الموت بِأعصابٍ باردة !

أتعلم يا قمري ما هو أقسى من الموت ؟

أن نشتهي الموتَ ذاتَه فلا نجِده !!

هم على الشاشة يشتهون الموت , ونحن في أصقاع الأرض غرباء نشتهي الحياة

أيُّ معادلةٍ لعينةٍ هذه ؟

لقد صار العدلُ في هذا العالمِ السَّوداوِيِّ كلمةً بِلا معنى

مجرّدَ حروفٍ مُتَراصَّة جنباً إلى جنب

حتى من ناحية الاشتِهاء لاشيء يَشِي بالعدل !

بالنسبة لي الآن أشتهي أن تصمُتَ تلك الشاشة المشؤومة

أن تُحرَق , أن تُنسَفَ نِهائياً

أن تصبح لا شيء مع كلِّ ذاك الخراب الذي تَعرِضُه

مع أنَّها في الحقيقة " لا شيء "

فمن ذاك الذي يُعيرُها سمعاً صاغِياً مُتَفهِّماً لِما قد يفعله من أجل المنكوبين ؟

من ذاك المُشاهد الذي ينظُر لها بعين اليقين , بعين الرَّغبة الحقيقية بتغييرِ ما فيها من هلاك ؟

بعين الرَّغبة بتبديد الظَّلامِ وتَضييقِ الخِناقِ على الحروب بحبال السلام ؟

هل أخبرتني من فضلك؟

أعلم تماماً أنَّ هناك من يرغبُ بتغيير تلك المعادلة لكنهم أقلةٌ ضعفاء ليست لديهم القدرة على تغيير شيء

يُقَدِّمون ما بوسعهم من كلمات ورسومات تُوضِح للعالم أجمع حجم الدَّمار اللاَّحق كمُحاولةٍ بسيطةٍ لِفعلِ شيء يوحي بالرفض

هم قلة يا قمري وأنا منهم

ما بيدنا إلا الدعاء

عزيزي القمر ..

بهذه اللحظة بالذات أتمنى أن أُمسِك بذاك الجهاز اللَّعين وأُخرِس تلك الثَّرثارة التي لم تزد السوء إلا سوءًا

هي لم تفعل شيئاً سوى تكرار الأحداث الدموية حتى يموت الأحياء قهراً وغضباً على من ماتوا برصاص

الحرب ..

لكن بصراحةٍ لا طاقة لي للقيام من مكاني والبحث عنه في أرجاء غرفة الجلوس

جسدي مُرهقٌ أَصابه الخدر جرَّاء ما عرضَته على بصري وسمعي تلك المعتوهة

سأُحاول البحث عن طريقةٍ أخرى حتى أتخلَّصَ من الشعور بالاختناق والضجر والوحدة

سأكتب لك !

عزيزي القمر ..

أخبرتُك مرَّة بأنَّ الكتابة وحدها من تُمسِك بيدي بكلِّ حُبٍّ حتى تَنتَشِلَني من غرقٍ محتوم

ووحدها الكتابة لك قادرةٌ على أن تُزيل الخَدرَ عن جسدي وتُراقِص قلبي سعادةً وجنوناً

وحدها من تتسبَّبُ باندثارِ غبائر الحروب والدمار والحزن العميق عن قلبي ومُخيِّلَتي ناشرةً

مكانها لآلئ من فرح

ألم أخبرك يوماً بأنك ذاك الوتر الحنون الهادئ لآلةٍ موسيقيةٍ تتَّسم بالجنون كالغيتار ؟

فلتكن غيتاري

ألم أخبرك يوماً بأنك القصيدةُ الساكنةُ بي كحلمِ الاكتمال والالتقاء بِالنهاية الحتمية للعشق؟

فلتكن قصيدتي

فلتكن قلمي وكلماتي , خواطري وأبطال حكاياتي

فلتكن أوراقي التي أتكئ عليها بألمي .. بغضبي ..برفضي .. برغبتي .. بعشقي وهذياني

فتحتويني ببياضها الناصع بكل ما تملك من نقاء

فلتكن شاشة التلفاز أمامي أُحَدِّقُ فيك بشغفٍ وتُحَدِّقُ بي بذهول المفاجأة

تحوِّلُ لي الحرب حُبّاً .. والدمَ عطراً .. والموت حياةً

تجعل للطفولة ضحكاتٍ صاخِبة تعلو صوت المدافع والرصاص.. ضحكاتٍ جريئة على مسمع العالم أجمع ، لا أصوات صرخاتٍ وعويل !

تُصوِّرُ لي الجِراح على أجساد الأبرياء وروداً نابِتةً من طُهر قلوبهم

تُريني الوطن ضاحكاً مُستبشِراً لا صوتَ فيه يعلو صوت الفرح

فلتكن كل شيء !

وهمي وحقيقتي .. خيالي وحُلمي .. آمالي وأمنياتي..

ولتبقَ لي قمراً جميلاً ينتظرُ رسائلي الرديئة من فرط شوقه ولهفته لي

ملاحظة صغيرة..

تتعثَّرُ اللغةُ معي أثناء كتابتك

أيُعقل أنَّ هناك سرٌّ لذلك ؟

أشكُّ أنَّ للغيابِ علاقةٌ بالأمر

الرسالة

(24)

...السَّلام لِلسَّلام...

الفراغُ يلفُّني من كل جانب, أظنه صار جزءًا مني

صرتُ أجد فيَّ بُقَعًا فارغةً وأحلاماً واهِيةً

ورغباتٌ ارتطمتُ معها بجدار الاستحالة

باتت مكسورةً تماماً , قِطعاً من أوهامٍ بائسة

وأنا المعطوبةُ في الحقيقة انكسر عَطبي وانكسرتُ

بتُّ مكسورةَ الأحلام والأوهام وما عاد لي وهمٌ جميلٌ إلاك

أتظنُّ بأني سأُجبَرُ يوماً ؟

يخبرني قلبي الذي أثق فيه تمام الثقة بأنِّي سأُجبَر

ثمة صوتٌ يهمسُ لي بهدوء :

" إيمانكِ العميق بالله الذي بداخلك سيُجبِرُك "

وكأنَّ سلاماً يتدفَّقُ داخلي لدى سماعي لذاك الهمس

السلام الذي صار مُعجزةً ممنوعةً من الصرف في زمننا هذا زمن الأسلحة والصواريخ

السلام الذي بات الحلم الأوحَد والأعمق والحاجة الأساسيَّة المُلِحَّة

السلام المُغتصَب من قِبَل صُنَّاع الحروب والمآسي , تُراه متى سيتحرر ؟

عزيزي القمر..

وطني البعيد الذي بداخلي يعاني الشُّحَّ السحيقَ بالسَّلام

ذات سهرةِ إنصاتٍ بيني وبينه ما لَبِث أن بدأ يشكو لي انكساره واندثار آماله وأبنائِه وانحِسارِ مطالبه بالسلام ولا شيء سواه

حتى سمعتُ أصواتًا شاكيةً أخرى من كل مكان

" جميعنا نعاني الشُّح بالسلام "

كانت أصواتُ أوطانٍ منكوبةً بالموتِ كوطني أدركتُ حينها بأنَّنا نهوي في عالم الجنون وعدم الإحساس بِأدنى مسؤولية إلا بما يخدمُ

المصلحة الخاصة أو بما يمكنُ فعله لتحريكِ أحجار لعبة الشطرنج التي تذهبُ ضحيَّةً لإنقاذ الملك

وما تلك الأحجار إلَّا نحن في هذه اللعبة الكبيرة !!

عزيزي القمر..

أيبدو لك ذلك منطقياً ؟

لا منطق في عالمِنا

إنه يسير بنا نحو اللاَّ منطِق ، نحو الهاوية المُظلِمة

أيُّ هاويةٍ ستحشرُ في أحشائها بشراً تَشَرَّبوا الذُّل وامتصَّت حربٌ لعينةٌ إنسانيتهم إلاَّ أن تكون هاوية جحيم !

ربما كان الجحيم هو الشيء المنطقي الوحيد

في هذا العالم يا قمري لاشيء منطقيٌّ سوى الجحيم الذي تَلِدُه الحربُ وتُسرِف في تربيتِه وإغداقِ حقدها عليه

حتى يكبر ويبتلع كل لمحة سلامٍ تقطُن في زاويةٍ ما أو قلباً صغيراً بريئاً مسالماً على هذه الكرة الأرضية

المصابةُ بدُوارِ الحُروب

عزيزي القمر..

يبدو لي بأنِّي أنا مَن أسرَف في حديثِه الآن عن المنطق واللامنطق

اعذرني لكن شيئاً كهذا يكاد يستَفِزُّني بطريقةٍ عجيبة وإن لم أستخدم قلمي للإفصاح

سأُصاب بهستيريا الأفكار المجنونة لذلك سأختم رسالتي لكَ بشيءٍ منطقيٍ بالنسبة لي

وهو السلام الذي أسعى له بكل ما أُوتِيتُ من أمل

السلام للوطن الذي ما عاد يعرف سلاماً

السلام لشعبٍ أصابه جوعٌ فاحشٌ للسلام

السلام لشعوبٍ ما رأت يوماً سلاماً

السلام لقلبك النابض بالسلام

السلام لقلبي الذي يجد بالكتابة إليك كل السلام

السلام للسلام ذاته ذاك الذي أغرقتُموه بالكلمات والعبارات الواهِية وأهملوه بأفعالهم وجرائمهم

ملاحظة صغيرة..

عندما تغدو الأوهام مجرَّد قطع مكسورة لا حياة لها ولا وجود

وعندما نُواجه الحقيقة كما هي مُجرَّدَة من كلِّ ما كان يعتَريها من سراب

وجب علينا تَقَبُّلها والضحك معها بهستيريةٍ وتآلف

ربما كانت تملِكُ المفتاح لبابٍ خلفه جنةٌ من حياةٍ وعلينا البحث عنه بكل أملٍ ويقين

الرسالة

(25)

... عانَقتُني ...

مرَّت شهور طويلة لم أكتب شيئاً

ربما كنت أهرب فيها حقيقةً فقد كنتُ دائمةَ التَّشتُّت والبعثرة

أردتُ أن أُلملِم نفسي بنفسي

اعتقدتُ أني أستطيع فعل ذلك بدون يدٍ تُسانِدني ولو كانت مجرَّد حروفٍ لا غاية لها سوى إخراجي من ذاك الظلام

الذي وقعتُ فيه دون إرادة مني أو تفكير

ولكني اليوم أقرُّ مُعترفةً بالهزيمةِ

عزيزي القمر ..

ثمة اعترافاتٌ تكونُ كطوقِ نجاةٍ يُطوّق أعناقنا المليئة اختِناقاً لِجَرِّنا نحو المُتَنَفَّس الآمن

ثمة أشياء نحشُرها عُنوَةً في قلوبنا المُرهقة و نُغلِق الأبواب عليها مُعلَّقةً على مِشجبٍ من مشاجِب الأمل

ترى لِكم مِشجبٍ يمكن أن تتسع قلوبنا ؟

أرى أننا جعلنا قلوبنا كالخزائن , وكل خزانة عليها أن تكون ذات سعة أكبر حتى نحشر فيها أكثر مع كل فصلٍ

جديدٍ من فصول حياتنا

أتعلم يا قمري؟

أشعر أني جعلتُ من قلبي خزانةً دون أن أُدرِك ذلك مُسبقاً !

خزانةٌ كلُّ من فيها غيابٌ لا أثر لهم , كلُّ ما فيها اكتسى بغبار الذكريات المَنسِيَّة ، ولا طاقة لي لأنفض عن قلبي كل ذاك الغبار

خوفي الدائم الآن هو أن تصبح ذكرى محشورةً بين ذكرياتٍ في خزانة قلبي

وما من مشجب أملٍ لأجلك !

المهم الآن وفي هذه اللحظة والشيء الذي أعتبره عزائي عن كل ما فقدتُ من ثقةٍ وإدراكٍ وقوةٍ في أيام غربتي الطويلة

الكئيبة هو شعوري الدائم بأني سأعود حتماً لِلوطن إن شاء الله

عزيزي القمر ..

سأعترف لك باعترافٍ آخر

لم أعد أهذي رغبةً بالخروج من قوقعةٍ ضعيفةٍ وضع الله روحي بها

وكأنني استسلمتُ أخيراً للقدر

وكأني فجأةً صرتُ أخافُ من أن أتغيَّر !

أخاف أن لا يتَعَرَّف عليَّ الوطن بهيئتي الجديدة

أظنه اشتاق لخطواتي المُتَرَدِّدَة والمُرتَبِكة

افتقَدَ وقوعي المُتكرِّر على أرضه ومُلامَسَتِه لجسدي الهزيل الضعيف

أظنه ذاب شوقاً لمحاولاتي المتكرِّرة للوقوف بكلّ السُّبلِ المُمكنة بعد كل سقوط

بل ربما أرهقه غياب سواد عينَيَّ اللَّتَين تتحدَّيانِ كل نظرة شفقةٍ بابتسامة آمنه

أعلم أن الوطن أحَبَّني كما أنا بضعفي وبقلبٍ طفولِيٍّ مليء بالأمل بين ضلوعي المُلتَوِية

أحبَّني رغم اختلافي الواضِح والصَّارِخ

أحبَّني رغم تصرُّفاتي العفوية وتسرُّعي الدائم في كلِّ أمرٍ

أحبَّني رغم سذاجتي وإغداقي قلوبَ الآخرين محبة صادقة

عزيزي القمر ..

لا أُنكر بأنِّي أتمنى أن أجِد قلباً يحتويني كالوطن , هي حقيقةٌ لدى جميع البشر بجميع اختلافاتهم وأفكارهم

ولكني أخاف أن يكون ذاك القلب سجناً خانِقاً كَغربة !

تماماً كما تُحَدِّثُني هواجسي خِلسَةً وأهُمُّ بإخراسِها دوماً أملاً بأن ينتهي وجودها

أسهبتُ في الكتابة اليوم يا قمري , على أيِّ حال هي عادتي مع الكلمات

علاقة أعمق من أن تكون حُباً أو عشقاً

ربما كانت اندماجاً و امتِزاجاً أو حتى ذوباناً !

تماماً كما أتى ذاك الحلم واقتحم حياتي كقِطعَةِ سُكَّرٍ ذابت داخلي حتى صارت جزءاً لا يتجزأ مني

بالمناسبة..

على الرغم من عدم حدوث شيء مميز يقلب حياتي الفارغة بتلك الشهور التي امتنعتُ فيها عن الكتابة

لكنَ شيئاً آخر مختلفٌ انبثق وفرض نفسهُ عليّ مُؤنِساً غيابي لم أحسب له حساباً

عانقتُني!!

عانقتُني بحبٍّ هذه المرة, أمسكتُ يدي بعطفٍ وساندتُني

سامحتُني على كلِّ أخطائي بِحقِّي

وضعتُ لي طريقاً جديداً أسير فيه برفقتي!..

ملاحظة صغيرة..

سأعود عاشقةً محملةً بالقُبلِ المحمومة لذاك الوطن الذي احتضن روحي ولم يملَّ انتظاري يوماً

مؤمنةٌ أنا بذلك .

الرسالة

(26)

... المُنتصف المُريع ...

لِلحنين أبعادُ كبيرة واسِعة ، وشِباكٌ مُحكَمَةٌ ما كُنت لِأعيها لولا غيابك

تارةً أجدُني واقِفة أعلى قِمم القلق والخوف من أنَّ نِسياناً ما داهَمك

وتارةً ألحَظُني غارِقةً في أعمقِ لا وعيِي تُحاصِرني أفكارٌ كثيرة بِتُّ أجزِمُ بأنَّها أوهامٌ ليس إلاَّ

فكرةُ البقاءِ بالمُنتصفِ مُرعبةٌ جداً

تكادُ تُسيطرُ على أحلامي فكرةٌ جنونيَّة كأن أتحوَّلَ فجأةً لِحمامةٍ زاجِلةٍ أزجُّ لكَ رسائلي وأُرغِمكَ على قِراءتِها

فلا تجِدُ لكَ مهرباً سِوى أن تخضعَ لِما تريده منك حمامةٌ زاجلةٌ ليسَت أنا وبصراحةٍ لن أبوحَ لكَ بهويَّتي لحظتَها !

ولن يخطُرَ ببالِكَ أنَّ فتاةً حالِمَةً تصِلُ درجةُ جنونها حدَّ رغبَتِها بالتَّحوُّلِ لحمامةٍ زاجلة

ربما كانت عاشِقة وليسَت حالِمة !

ثمةَ مسافة شاسِعة بينهما هذه تسيرُ وِفقَ خططٍ مدروسة ومضمونة حتماً

وهذه تسيرُ وِفق قلبٍ تَغلَّفَ بِطبقةٍ من حديدٍ يسيرُ بِلا إرادةٍ خلف مِغناطيسٍ هو أنت

وأنا الواقِفة في المُنتصَفِ تُمارِسُ بي الصراعاتُ بينهما لِعبةُ شدِّ الحبل

ما أثقلَها من لِعبةَ !

منذ صِغري وأنا أمقُتُها ربما لِأني كنتُ أعتبِرُ ذاك الحبلَ المِسكينَ سجينٌ ضعيفٌ تُمارَسُ ضدَّه كافَّة العقوباتِ وأشدُّها

والسجانينَ يضحكون ويتنافَسون بل وحتى يستمتِعون ...

أعتقِدُ بأنَّ تشبيهاً كهذا قد يقودُ ذاكِرتنا تجاه مُستضعَفينَ كُثُر

أشعرُ بالأسفِ لِأجلهم وبالخجلِ من نفسي التي ما بِيدِها سِوى أن تبُثَّ غضبها على ورقة !

كَم أُشفِقُ على الأوراقِ من غضبي يا قمري ، أشعُرُ كما لو أنَّ براكينَ أقومُ بِتفجيرِها لِأحرِق تلك الأوراق المسكينة

أتعلمُ أهمَّ ما يُميِّزُ ورقةً بيضاء ؟

أنَّها تبقى لِلنهاية ، لا تتركني في المُنتصَف لِتُنهي سطورها بِتكَتُّمٍ بالغِ السِّريَّة تُخفيه عني وتهرُب بالسبب نحو اللاَّمكان

لا تخذِلُني ، تفي بوعدٍ قطعَته لي وتبقى صريحةً معي حتى النهاية ..

النهاية !

أتظُنُّ يا قمري بأنها النهاية حقاً ، أم أنَّ لا بِدايةَ كانت بيننا حقيقة !..

أيُمكنُ أن تُخلَقَ البِداياتُ مع وهمٍ وتسيرُ معه جنباً إلى جنبٍ حتى النهاية ؟

عزيزي القمر ...

تاهَت بي الأفكار حدَّ عدم تمكُّني من الإمساكِ بها

وكأنها قطّةٌ هارِبةٌ وعليَّ الركضُ خلفها للإيقاعِ بها قبل أن تعتنِقَ الزوايا العميقة

تلك التي لا يُمكن الوصولُ إليها إلاَّ بِاختِلاقِ خُططٍ مُحكمةٍ لمُراوغتِها

ولكنَّ قِطةً تركُضُ بِجنونٍ هستيري كيف يمكنني اللِّحاق بها !؟

وعقلي غائبٌ في اللاَّ شيء واقِفٌ في مُنتصفِ كلِّ شيءٍ بيأس من أين يأتي بخُططٍ لِلمُراوغة ؟

عزيزي القمر ...

أعتقِدُ بأنَّ التخلِّي هو الحل الأمثلُ لكلِّ مشكِلاتي

قد نُرغَمُ على التخلي عن أغلى ما نملِك وأكثرِ ما نُحِب مُقابل الحصولِ على حلُمٍ قد يُغيِّرُ كل واقِعنا

وينقُلنا إلى بِدايات جديدة تنتشِلُنا من غرقِنا بأوهامٍ رماديَّةٍ وتجارُبَ مُحبِطة..

وقد نحصُلُ حينها على حياةٍ حقيقية مُزهِرة ...

وقد أحصُلُ حينها على قمري حقيقةً لا خيالاً !..

ملاحظة صغيرة ..

" لِكلِّ بِدايةٍ نهاية "

هذا ما أُحاوِلُ إقناع ذاتي به

فكما أنَّ اللحظات الجميلة تنتهي لِتُصبِحَ مُجرَّدَ ذكريات

كذلك هذه اللحظات الكئيبة لا بُدَّ لها من نهايةٍ حتميَّة

كأن تُصبح ماضٍ عابرٍ لا يستحِقُّ الاهتمام

وبالطبع ينطبِقُ الأمر على وقوفي بالمُنتصَفِ المُريع !!

الرسالة

(27)

... حُبّي المجنون ...

صارَت فكرة الغِيابِ برَّاقةً تتراقَصُ حولي كما لو أنها فراشاتُ حُرِّيَّةٍ مُلوَّنة ..

بالنسبةِ لي لا أريدُ أبداً التحرُّرَ من وهمٍ جميل جعلتُه لي حياةً أخرى مُختلِفة

أختبئ فيها عن فوضَوِيَّة حياتي الفارِغة هذه

لا أريدُ التَّحرُّرَ من كتابة رسائلَ تمنحُني أكثرَ مما قد تمنحُني إيَّاهُ كلِمةٌ أو مُواساةٌ من صديقٍ قريب

تمنحُني الأمان ومِساحةٌ واسِعةٌ لِلبَوح

الرسائلُ يا قمري بِمثابةِ النور الذي ينتَشِرُ وسط ظلامٍ حالِك يُبدِّدُه ويُبعِده عن وِحدَتي وعن قوقَعَتي الزرقاء المُلوَّنة

بِلَونِ حُبي المجنون

حُبِّي الذي اختَلَقتُ وجودَه من تِلقاءِ مُخيِّلَتي وجعلتُه يتحمَّلُ كافَّة تصرُّفاتي الغريبة بِمحبَّةٍ وصبر

حُبِّي الذي جعلتُه يتمسَّكُ بالغيابِ رغبَةً مني لِأتمكَّن من معرِفةِ الشعور بغيابِ الوهم كيف يكون ؟

وهل لِلوهم مكانٌ فارِغ ؟؟

حبِّي الذي جعلتُه يتراقصُ كالدُّمى المُعَلَّقةِ بين كلماتي ورسائلي رديئةِ الاحترافيَّة

حبي الذي سكبتُ عليه بكائي حينما حدَّثته عن الوطن ، وجعلتُه يمسحُ بِيديه اللاَّ مرئيَّتَين دموعي

أفضيتُ ما في قلبي أمامه وعرَّيتُني من أحزاني ومخاوِفي

حُبِّي الذي أطلقتُ عليه اسم القمر وجعلتُني أنتظره بِصبر

بالنسبةِ لِلمنطِق لا بدَّ من التَّحرُّرِ من قُضبانِ خيالٍ أنا وضعتُها لِنفسي

ومن قيدٍ أنا من أوثقتُه بمعصميَّ على هيئة ظروفِ رسائل

عزيزي القمر ..

مُحبَطَةٌ جدَاً أنا من لِقاءٍ لن يكون

ومن دعوةٍ لاحتِساءِ كوبِ قهوةٍ لن يَحينَ موعِدَها

مُحبَطَةٌ أنا من أحاديثَ انتَهَت قبلَ أن تبدأ وما زالَت مُعلَّقةً على أملِ البدايات كالغصَّةِ في حلقي وقلبي

مُحبَطةٌ من أفكاري التي أودَت بي لِطريقِ الإحباطِ نفسِه

كَسمكةٍ تعيشُ بِخيطِ ماءٍ تعلمُ أنها النهاية حتماً ولا سبيلَ لِلنجاة لكِنَّها تُقاوِمُ الاختناق والموتَ البطيء ، وتنتظِر

أنا تلكَ السمكة !

صار من الطبيعيِّ جدَاً الإمساكُ بحلٍّ يَفكُّ شعوري من الإحباط

الفراشاتُ المُلوَّنةُ التي تتراقَصُ حولي بِشغبٍ ، حان موعِد الإمساك بها

الغِيابُ والتَّخلِّي عن فكرةِ العيشِ بالأوهام وانتِظارِ اللاَّ شيء

عزيزي القمر ..

أظنُّ أنَّ الوقتَ قد حان بعدَ شُهورٍ عِجافٍ قضَيتُها بكتابةِ الرسائل أن تبزُغَ في سمائي حقيقة

أن أكُفَّ عن الكِتابةِ لكَ ولِتُصبِحَ الرَّسائل لي ومن أجلي

فأنا الأحَقُّ بِها من الخيالِ

حان الوقتُ لِأن أرسُمَ أمنِياتي وأحلامي على حافَّة الأمل

ولِأحتفِظَ بكَ في قلبي كما لو كنتَ قطعة سُكَّر ذائبة

ملاحظة صغيرة ..

بعضُ النهايات تبقى كالشَّوكةِ العالِقةِ في أقصى القلب مُوجِعَةً ومؤلِمة

بعضُ النهاياتِ تكسِرُنا دون أن يُدرِكَ أحدٌ انكِسارنا

وبعضُ النهايات تنتظِر لحظةً تُقلَبُ بها الصَّفحاتُ الأخيرة

ثمَّة بِداياتٌ على وشكِ الشروق

وثمَّة أنتَ المُتَّصِلَ بقلبي كالوريد

تمَّت بِحمدِ الله

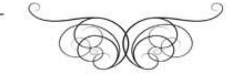

الفهرس

الإهداء 5
البِداية 6
التمهيد 9
نصف استدارة 10
وهمي الجميل 13
ماذا لو عقدنا اتفاقا ؟ 17
سمائي بائسٌ ظلامها بِغيابك 21
كُلٌّ بِعيونِ الآخر 24
مولودٌ مُخَيِّلتي 27
لهفَةٌ بِلا موعِد 32
تَفاوُض 38
لِأَنني أخافُ فقدَك 41
أرجوحةٌ مُتَقَلِّبةُ المِزاج 45
واقِعٌ عارٍ من الإنصاف 51
حُضورُكَ الغائب 58
لِأَنَّكَ مَوطِنُ سلامي 63

بصمةٌ فارِقة 68
شِباكُ حُب 73
غارِقٌ في الغِياب 78
نُبوءاتُ قلبٍ لم يكبُر بعد 80
تذكرة غاليَة الثَّمن 83
أن أحِبَّكَ يعني! 86
كميعادِ الشمس 91
هل أحبَبتُكَ حقًّا ؟ 95
جنونٌ وهذيان 99
فَلتكُن شاشَة التِّلفاز 104
السَّلام لِلسلام 111
عانَقتُني 116
المُنتَصف المُريع 122
حُبِّي المجنون 127

حقوق النشر محفوظة